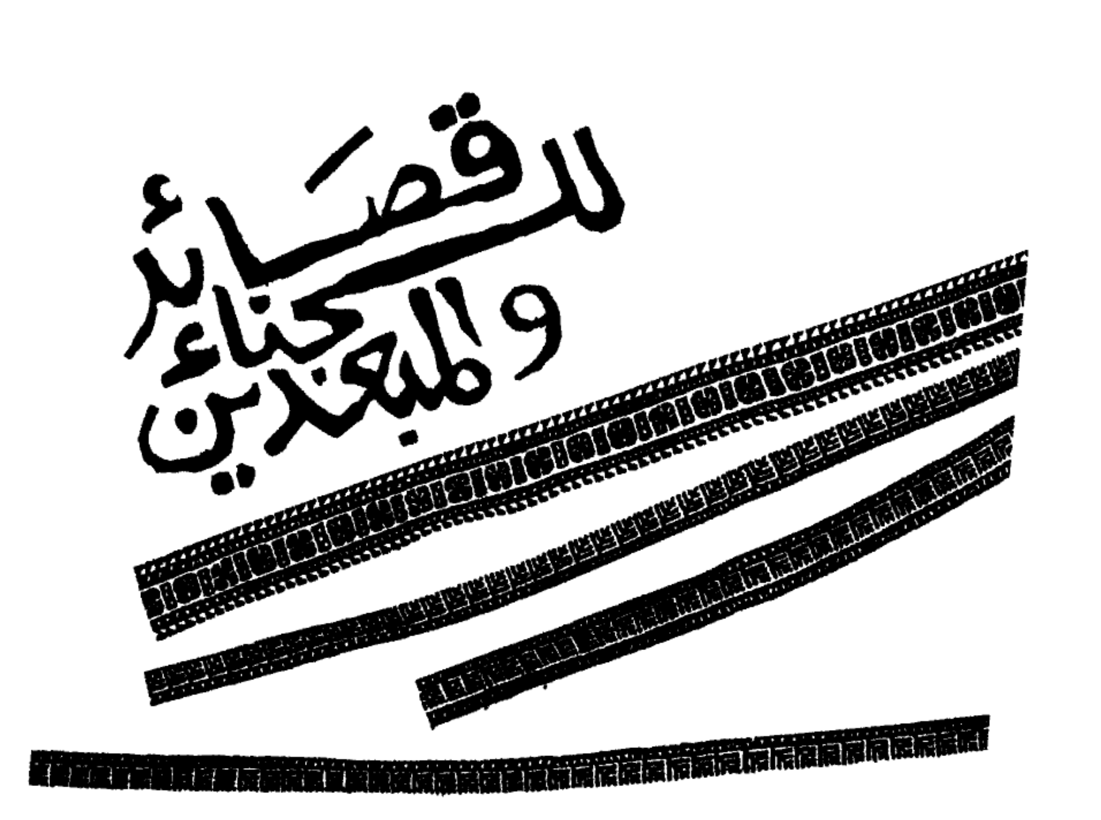
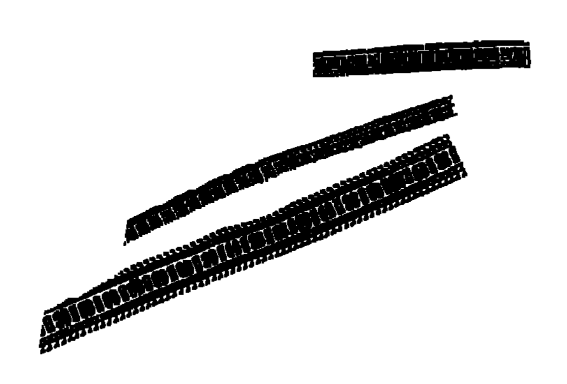
هارون هاشم رشيد




قصائد للحناء والمبعدين

طبع هذا الديوان
على نفقـــة
السيد / عدنان يوسف العلمي
ابن غـزة البـــار

قصائد للبكاء والمبعدين





دار الشروق

القاهرة : ١٦ جواد حسنى - هاتف : ٣٩٣٤٥٧٨

٣٩٢٩٣٣٣ فاكس : ٣٩٣٤٨١٤ (٠٢) تلكس :

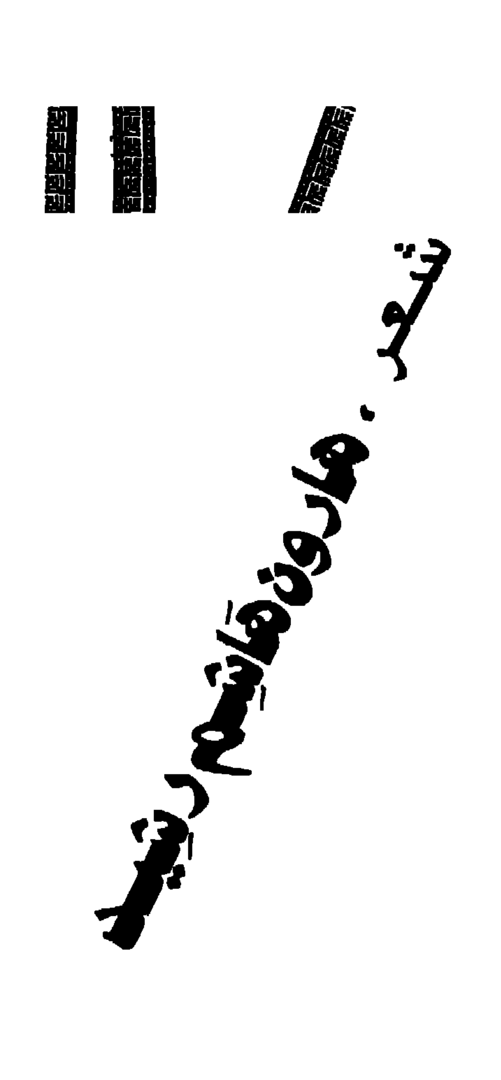
93091 SHROK UN بيروت : ص.ب . ٨٠٦٤

هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٧٦٥ - ٨١٧٢١٣ فاكس:

٨٦٧٥٥٥ - تلكس : SHOROK 20175 LE

الطبعة الأولى ١٩٩٨

تصميم ورسوم : محمد حجي



إهـــداء..

إليهـــم ...

في ليل الظلم والقهر...

إليهـــم ...

إلى الأعزاء الذين أحبوا الوطن وافتدوه

إلى من أحبوا الحرية

وشقوا الطريق إليها

إلى كل السجناء والأسرى

في سجون الإحتلال الظالم

بشراهم بالفجـــر

وبشراهم بالنصر

هـارون

صباح الخير للسجناء ..

(إليهم إلى كل الأسرى والسجناء
في ليل السجن الصهيوني)

(١)

صباحُ الخيرِ . .

تحملها إلى الأحبابِ

أسرابُ الحسَاسينَ

تدوُر بها مولهةً على كُلِّ الزَنازينِ

تَحُطُّ على شبَابيكِ مُغَلَّقةِ

وتُنْشدُ للْمَسَاجينَ

وتَحْملُ شِلْحَ زَنبقَةٍ لهمْ

أو غُصْنَ زيتونٍ

مِنَ الوَطَنِ الذَّي لا مثلُهُ

أحلى

مِنَ الوَطَنِ الفَلَسْطيني

(٢)

تَقُولُ لَهُمْ : صَبَاحُ الخيرِ

للغُرِّ الميامينِ

صَبَاحُ الخيرِ مِنْ «عكا»

وَمِنْ «يافـا»

وَمِنْ ربواتِ حَطِّينِ

وَمِنْ «غزةَ»

مِنْ مسجدِها المعْمُورِ

مِنْ نَفْحِ البَساتينِ

(٢)

صباحُ الخيرِ مِنْ أهليكمو البُسطاءِ

مِنْ ليلِ المسَاكينِ

وَمِنْ أوجَاعِ مَظلُومِ

وَمِنْ أناتِ مَحزُونِ

صباحُ الخيرِ

مِنْ توقِ النَّوى المشْبوبِ

مِنْ نبضِ الشَّرايينِ

(٤)

صباحُ الخيرِ

يا أحبابنا الأحرار

يا أملَ الملايينِ

ويا لمعَ السَّنا، والضوءِ

فى ليلِ التَّشَارينِ

على ميعادِنا نبقى

على العهدِ الفلسطيني..

القاهرة ١٩٩٧

عينى على السُّجناء

[مع كل فجر يهزم الظلام .. مع كل صباح ينشر الأمل.. صباح الخير لهم]

(١)

عينى عليهِمْ، فى ظلامِ القَهرِ، فى السِّجن الكبيرِ
عينى عليهمْ، بينَ موقوفٍ، ومسجونٍ، ومعتقلٍ أسيرِ
عينى عليهمْ فى زنازينِ العَذَابِ المُرِّ ليلِ الزّمهريرِ
أغلى الرِّجالِ همو، وخيرةُ نسوةِ الشَّعبِ الجسورِ

(٢)

أحصي، ومَنْ أحصي..؟ يتوهُ العدُّ يغرقُ فى السُّطورِ
آلاف، ما مِنْ سامعٍ صوتًا لهمْ، ما مِنْ مُجيرِ
مَا حَالهمْ..؟ لا الغوثُ يبلغُهُم، ولا صحوُ الضَّميرِ
فالنَّاسُ مشغولونَ عنهمْ فى تَصاريفِ الأمورِ
النَّاسُ مشغولونَ فى زَهوِ المناصِبِ والقُصورِ

شغلتهُم الدُّنيا، عن السُّجناء عَنْ أغلى النُّسورِ
عَمَّن على دربِ الفداءِ مشوا، على صوتِ النَّفيرِ
حملوا الأمانةَ، صادقينَ، مشوا على لهبِ السَّعيرِ
لا الظُّلمُ أرهبهمْ، ولا حادوا عنْ الهَدَفِ الكبيرِ

(٣)

عيني عليهمْ . . خاطرى، حُبى أحاسيسى شُعورى
أهلوهمو فى الحُزنِ وحدهمو وفى القَلَقِ المُثيرِ
تتطاولُ الأيامُ قاسيةً تَوالى بالسنينِ وبالشُّهورِ
مَنْ قد رآهمْ تحت هطلِ الغيثِ فى اليومِ المطيرِ؟
أومَنْ رآهمْ تحتَ عينِ الشَّمسِ فى اليَومِ الحَرُورِ؟
ساعات . . هُمْ فى الانتظارِ لإذنِ جلادٍ غَرُورِ

(٤)

سُجَناءُ نَحْنُ كما هُمو، فى القيدِ فى ذُلِّ المُغيرِ
أنفاسُنا مخنوقةٌ، والنَّارُ تَغلى فى الصُّدورِ
منْ نَحْنُ فى دُنيا التَّخاذلِ والتراجعِ والغرورِ؟
مِنْ غيرِ أن تعلو لنا الرَّاياتُ فى كلِّ الثُّغورِ

مِنْ غـيـرِ تحـقـيقِ السَّـلامِ العـدلِ تقـريرِ المصيـرِ

مِنْ غـيـرِ أن نلقـاهمُ طلقـاءَ مِنْ قـيـدٍ ونيـرِ

مِنْ غـيـرِ عَـودَتِهمْ نظَلُّ كطائرِ الحُـزنِ الكسـيـرِ

فَـهُـمـو البِـشَـارةُ بالصَّـباحِ الحُـرِّ بالفـجرِ المُنيـرِ

ولهمْ وليسَ لغـيـرِهمْ جُـدِلَتْ أكـاليلُ الزُّهُورِ

القاهرة : ١٩٩٤



عبد الهادى سليمان غنيم

وردة على جبين القدس

[عبدالهادى سليمان غنيم ابن معسكر النصيرات فى قطاع غزة بطل عملية الحافلة رقم ٤٠٥ على طريق القدس الذى يواجه حكما إسرائيليا بستة عشر مؤبدا]

(١)

«اللهُ أكبرُ» . . فُجِّرَتْ تَتَرَدَدُ
والقدسُ، شاخصةُ المآذنِ تشهدُ

«اللهُ أكبرُ» . . يوم أطلَقَها الفتى
عبرتْ إلى أم الشَّهيدِ، تُزَغردُ

قالتْ لها : ثاراتُنا لما تزلْ
نِبْراسَ ثَورتنا، يُضىءُ، ويُوقد

مَنْ قالَ أنَّا قد نَسينا ثَأرَنا
أو أنَّنا عَنْ ثأرِنا نَتَرَدَّدُ

عينٌ بعينٍ، لَنْ نُغَيِّرَ نَهْجَنا
سِنٌّ، بِسِنٍّ، شِرْعَةٌ تَتَجَدَّدُ

(٢)

«اللهُ أكبرُ» . . يومَ فَجَّرَهَا الفتى
رَفَّتْ، كطيرٍ فى السَّماءِ يُغَرِّدُ

حَمَلَتْ جِراحاتِ الأسى، وعذابَهُ
وتنقلتْ، تَروى الحَكايا، تَسْرُدُ

مِنْ أينَ؟ مَنْ هذا الفتى؟ ما إسمُه؟
ولِمَنْ أطلَ صباحُه المُتوقدُ؟

حملَ العذابُ شهورَه وسنينَه
وأتى كما السَّيفِ المهنَّدِ يُجْرَدُ

من شاطئ الأحزانِ، حيثُ ترَعْرَعَتْ
روحُ البطولةِ، . . وجهُهُ المُتمردُ

ومن «النُّصيرات» الذى قاسى الفتى
لِيلاتِه، دوّى النّفيرُ المُرعدُ

إن «النُّصيراتَ» الحبيبَ مُكَبلٌ
بسلاسلِ الغزو الرهيبِ، مُقيّدُ

وجراحُه، لَمَّا تزلْ مفتوحةً
ما مِنْ يدٍ تأسو الجراحَ تُضمّدُ

مازالتْ الدُّورُ التى عن أهلها
سُلخت، تثيرُ حنينَهُ، وتُجَددِ

مازالَ: ماذا عنهُ فيضُ خواطرٍ
تَتَرى، وأفكارٌ تُثَارُ وتُسْرَدُ

هو كانَ، لما أُسِّسَتْ أكواخُه
وأُقيمَ يحلمُ بالرُّجوعِ، ويُوعدُ

العائدونَ بهِ على ميعادهمْ
يترقبونَ متى يحينُ المَوعِدُ

نَشَأ التَّلاميذُ الصِّغارُ تواليًا
أجيال فى حِضْنِ الشَّقاوة تُولدُ

يتعلمونَ صباحَ كُلّ ترقبٍ
أنَّ الجِهادَ هو الطريقُ الأوحدُ

وبأنَّ مَوطِنَهمْ، لهم أبدًا، وإنْ
طالَ الطَّريقُ بهم، وعَزَّ المَقْصِدُ

كانَ الشِّتاءُ يزورهمْ، فيثيرهمْ
ويؤرقُ اللّيلَ الطّويلَ، ويُسهدُ

وتظلُّ أعينهمْ، تتابعُ قطرةً،
فى قطرةٍ، مِنْ قطرةٍ، تَتَفَصَّدُ

والموتُ، منجلُ حاصدٍ مُستكلبٍ

جــوال ينتــزعُ الحــيــاةَ، ويحــصــدُ

عــيشُ اللجــوءِ، ومَنْ يُكابدُ بؤسَــهُ
يَدرى لماذا اللاجــئــونَ تَمــردوا

(٢)

هُو مِنْ «قطاعٍ»، صامدٍ مُسْتَبْسِلٍ
منهُ الشَّرَارَةُ والدَّوِى المُرْعِدُ

حــملَ الأذى زمنًا، ومــا مِنْ مــرةٍ
خــانَ الأمــانةَ شــعــبُــه المتــجلدُ

الجــوعُ يصــرخُ فــيــهِ، فى أنحــائه
والموتُ يصــخَبُ ظالــمًــا ويُعــربِدُ

كَمْ طفلةٍ غــالوا ابتــسامــةَ عُــمْــرِها
ولكمْ صَــبِى يتــمــوهُ وشَــرَّدوا

ولَكمْ ألوفٍ عوقوهمْ غيلةً ،
أو كَسَّروا أطرَافَهمْ، أو قَيَّدوا

«أنصارُ» ياوطنَ العروبةِ سُبَّةٌ
فى وجهِ مَنْ شَجبوا البلاءَ ونَدَّدُوا

فيهِ منَ الآلامِ ما لا مثلُها
عينٌ رأتْ أو أبرياء هُدِّدُوا

حظرُ التجّول تَحْتَهُ فى ظَلّه
يتحركُ الجيشُ المغيرُ، ويُفسدُ

أيامُهُ تمضى كما ليلاته،
سوداءَ حالكةً، تُذِلُّ، وتُجْهِدُ

يتَقلبُ الباغونَ، كلُّ مغامرٍ
منْهُمْ يُجَرِّبُ حظَّهُ ويُفندُ

ويظلُّ كالطودِ العظيمِ قطاعُنا

فى وجهِ من ظلموا يعزُّ ويصْمدُ

تتناقلُ الدُّنيا، حَديثَ شَقَائه
وثباتِه وصُمودِه، وتُمَجِّدُ

(٤)

غنى صغيراً «عائدونَ» ولم يعدْ
وتخلفَ النُّصراءُ عنهُ، وحُيِّدُوا

رسم البلادَ بقلبِه وعيونه
شِبْراً، فَشِبْراً، بالدِّماء تُحَدَّدُ

سكنتهُ إنساناً يموجُ طُموحُه
لغدٍ يُضيءُ بهِ، ويُسعدهُ الغدُ

قَدْ شاءَها وطنًا عزيزاً ناعمًا
بالنَّصرِ يرفلُ، بالمحبةِ يَسْعَدُ

قــــد شـــاءَها وطنًا ترفـــرفُ فـــوقَـــهُ
أعـــلامُـــهُ، وبـهِ يُعـــزُ ويُـحْـــمَـــدُ

مـــــا خـــــانَهُ يومًـــــا، ولا عَـنْ دربـهِ
مـــــــــــالـتْ بـهِ ريـحٌ ولا طـاشـتْ يَـدُ

(٥)

دارَ الفـــتى، عـــينانِ فى أُفقِ الـدُّمـــا،
تتـــلألآنِ، وقـــد أطلَ الـمُـــوْعِـــدُ

فى الاعـــتـــقـــالِ، وفى السَّـــلاسل إخـــوةٌ
من أهلـهِ ذاقـــوا الـعـــذابَ وقُـــيِّـــدُوا

فـــهناك فى حِـضْنِ «النُّصـــيـــرات» الّذى
فى الانتظارِ حـــبـــيـــبـــةٌ تتـــوجـــدُ

هى أُمُـــهُ مَنْ أرضـــعـــتـــهُ رجـــولةً،
وبطـولةً، وبـهِ تتـــيـــهُ وتَـسْـــعَـــدُ

تَدرى، بأن طريقَـــهُ مـلـغــــومــــةٌ
تَدرى . . ويدرى قلبُـــهـــا، ويُعـــدّدُ

لـكـنَـهـــــا نَـذَرتْـهُ مُـنـذُ وجــــوده
لبـــــلادهِ . . وفـــؤادها يتنـهّـــــدُ

هـى مـــثـل كُلّ الأمـــهـــات تريدهُ
يهنى، ويبنى عُـــشَّـــهُ، ويُشــيَّـــدُ

لكنّ ظلّ الاحـــتـــلالِ، وقــهْــرَه
ينأى بأغلى الأمنيـــاتِ ويبـــعُـــدُ

تـصــــحــــو تنامُ على خطى أجناده
مــحــمــومــة تُشقي الحـيـاةَ وتُفْـسِـدُ

الاحـــتـــلالُ بقــهـــره، ويظلـمـــه
عـــاتِ يدُمــرُ فى البـــلادِ يُعـــربدُ

(٦)

غـــالٍ عليـــهـــا ابنهُـــا ، ونَجـــيُّـــهـــا
يمضى على الدّربِ الـمَـــخُـــوفِ ، ويُـبـــعـــدُ

غـــالٍ عـليـــهـــا ، أن يـهـــدّمَ بَيْـــتُـــهُ
ويدمَّـــرَ العُشُ الّذى قـــد شَـــيَّـــدُوا

لـكـنمـــا الأغـلى عليـــهـــا أرضُـــهُ ،
وتـرابـهُ ، وتـراثُـه ، والمـخْـــتـِـــدُ

لـكـنمـــا الأغـلى بـلادٌ تُـفْـــتَـــدى
وتحـــرُّرٌ يُرجى ، وفـــجـــرٌ يُـولـدُ

كـــانتْ هديتُـــهـــا إليـــهِ قـــبـلـةً
فـــوقَ الجـــبينِ ، ودمـــعـــةً تتـــجـــمـــدُ

قـــالت : على اسمِ الله خطوكَ فـــانطلقْ

تُـرعـى بـعـين الـلـهِ أنَّـى تُـوجَـــــــدُ

كَـــبِّـــــر فَللتكبـــيــــرِ فـى أوطانـنَا
رجعٌ، كـــزلزالٍ، يَـمُـــورُ ويُـرعـــدُ

(٧)

هو فى طريق القــدسِ، . . وهى عــروُســهُ
عِنْدَ «النُّصـيــراتِ» المحــاصـرِ تَرقُــدُ

مـــازالَ فى أحــشــائهــا من نبـضـــه
أملٌ، من الحـــزنِ الكبـيـــر سـيُــولدُ

مــــاذا تُرى قـــالـت لهُ، لما مـــضـى
وبـأى قـلـبٍ ودعـتْ تَـتَــــــــجَـلَّـدُ

هي مِـــثلُ، كُلُّ البــاســلاتِ نســائنا
يَـعـــــرفنَ أن طريـقَـنا لا تـوُصـــــد

يعـــــرفَـن أن الموتَ مِنْ غــــاياتِـنا
نرضى بلوعـــتِـــهِ، ولا نُسْــتَــعْـبَـدُ

هى قـــد رأتـهُ أمــامَـــهـــا، وجنودُهم
يتكاثرونَ عـليـــهِ، وهو مُـــقَــيَّـــدُ

ضَـــربُوه ظُلمًـــا بالعِـــصِى وكَـــسَّـــرَوا
أضـــلاعَ إخِـــوتِهِ ولَـمْ يتـــــرددوا

لم يَرْحَـــمــوا الشَّـيْخ الـمُـسنَّ أمــامَــه
داســوُه، واجــتـــرأوا عليــهِ تعـــمـــدوا

داســـوا كـــرامـــتَـــهُ، أهانوا أهـلَـهُ،
وأمـــامَ عـــينيـهِ اســتـبــاحُــوا واعــتــدوا

تَـدرى بأنَّ الـعـــيشَ دون كــــرامــــة
لا يرتضـيــهِ حـبـيـبُـهـا الـمُـتَـمَـرِّدُ

هى إذ تُودعـــهُ، وحــشــرجـــةُ الأسى

فى صـــــدرِهـا، من لـوعـــــةٍ تَتَـــرَدَّدُ

ترنو إليـــهِ، وفى لهـــيبِ عـيـــونِهـــا
شىءٌ تُكَتِّـــمُـــهُ، فــــلا يَتَـــحَـــدَدُ

شىءٌ كـــمـــا الدَّمعِ الّذى من رُوحـــهـــا
من قلبِـهـــا من عُــمـقـهـــا يَتَــفَـصَّــدُ

بركــــانُـهـــا يغلـى، وأشـــيـــاءٌ تُرى
مـــتـلاحــقـــاتٍ مـســـرعـــاتٍ تُورد

صُـــورٌ عن الزوجِ الحـــبـيـبِ الـمُـــرتجى
يمضى كـــمـــا الطَّيفِ الغـــريبِ، ويَبْـــعـــدُ

نهـــرُ الحنانِ، حـــبـيــبُـهـــا، ونجـيُّــهـــا
وأبـو جـنينٍ فى الحَــــشـــا يَتَــــهَـــدْهَـدُ

وتلـفُّ بالـشَّــــال الـمُطهـــرِ رأسَـــــهُ،
وتـضـــــمُّـــــهُ، عـنـدَ الـوداعِ، تزغْـــــردُ

تَدرى بأنَ صــغـــيـــرَهُ من غـــيـــرهِ

ســـيظلُّ يســـألُ مـــوجـــعًـــا، ويُرَدِّدُ

ســـيظلُّ، يســـألُ، عن أبيـــه تلهـــفـــاً

ويظلُ يحلمُ باللقـــاءِ، ويُوعَـــدُ

ســتــقــولُ ياولدى أبوكَ قــد افــتــدى

وطنًا تَنَاوَشَــهُ الذِّئابُ الشُّــرَّدُ

من أجلِ أن تحيا كريمًا شــامــخــاً

ومــعــززاً، غــابَ الحــبــيبُ السَّــيــدُ

غــابَ الَّذى قــد كُنتَ من أحــلامــه

الأحلَى، وإسْمُكَ، باسْمِهِ سَيُخَلَّدُ

طَلَبَ الشّــهـــادةَ، وهى أغلى غــايةٍ

لأحــبــةٍ، عــشــقــوا المواطنَ وافــتــدوا

فــارفعْ جــبــينك عــاليًا، ومُــفــاخِــراً

بأبٍ، على مَرِّ الزَّمانِ سَيَخْلُدُ

(٩)

نسْرٌ غدًا في الجناحِ مسافرٌ
بينَ النُّجومِ جناحُه المتُوقِّدُ

يُعلو ويهبطُ، لا يكفُّ مَسَارُهُ
ويظلُّ أشرعةً تموجُ وتُفْرَدُ

وأمامَهُ، من خلفِهِ، من تَحتِهِ
مِنْ فوقِهِ، رَشْقُ السِّهامِ يُسَدَّدُ

ويظلُّ مِنْ دَمِهِ، يُحنِّى تُربَةً
سَمراءَ ضَمَّخَها اللَّظى المتوردُ

(١٠)

هَلْ للنوارسِ، أن تَحُطَّ رحالَها
مِنْ بعدِ رحلتِها الطويلةِ تَرْقُدُ؟

هَلْ شاطئُ الأحلامِ مازالتْ بهِ

مِنْهُ، إليــــهِ لَفْـــــتَـــــةٌ وتَـوَدُّدُ

مـــاذا أتُرخى الدَّاليـــاتُ قُطوفَـــهـــا،
وَجَــدَائلُ الصَّــفْـصَـاف هَلْ تَتَـمَــسَّــدُ

وهل الشَّــذى الهــفْــهـاف من لَيْـمُــونهـا
مـــــازالَ يـنفحُ بـالأريجِ، ويَـرْفِـــــدُ

مـــا لـلنوارسِ كُلَّـمـــا شَـــامتْ عـلى
بُعْـــدٍ مَـــحَطٌّ رجـــائهـــا تُسْــتَـبْــعَــدُ

هــذى طـريـقُ الـقــــــدسِ لـيَـس يَـرُودُهـا
إلا الألـى حـــــمـلـوا الـلـواءَ وَوَحَّـــــدُوا

إلا الألـى حَـــفِظُوا عـــهـــودَ بقــائهـــا
ونقـــائهـــا، وبـهـــائهـــا، وتَـجَـــرَّدُوا

(١١)

هـذى طريقُ القـــدسِ، من «عُــمُـــرٍ» إلى
أبنـائنا تَـســـــمـــو بهمْ، وتُـمَـــجَّـــدُ

مَنْ بالدماءِ الغالياتِ تَفَجَّرَتْ
مِنْهُمْ يُخَضَّبُ تُرْبُها، ويُعَمَّدُ

القُدْسُ عاصِمَةٌ لَنا، ولِشَعْبِنا
جِيلٌ إلى جِيلٍ تدومُ وتَخْلُدُ

أعداؤنا، مَنْ هَدَّمُوا أبياتَنا
ظُلْمًا، ومَنْ جَارُوا عليها واعتَدُوا

حَلِمُوا بِها، نَدْرِي، وَمِنْ أحلامنا
ألاّ يُقِيمُوا عِنْدَها، أن يُطرَدُوا

فَلَنا مِنَ الماضِي، وَمِنْ آياتِهِ
عِبَرًا بوقفاتِ الجِهادِ تُؤَيِّدُ

هاتوا الصَّلِيبِيينَ، هاتوا بعدهمْ
جيشَ التَّتار، وجَمِّعُوهُ، واحْشُدُوا

لِنُعِيدَ تاريخًا، تَلألأَ حَرْفُهُ

بالنَّصـــرِ ، يطـردُ حــشـــدكم ويُبَـــدَّدُ

إنَّا على مــيـــعـــادنا، فَـــتَـــرقَـــبـــوا
فى كلٍّ فَـــجْـــرِ ثورةٌ تَتَـــوعَّـــدُ

هى ثورةُ الفـــقـــراءِ يمضى خطوها
لا خـــائفٌ فـــيـــهـــا ولا مُـــتَـــرَدِّدُ

هى من كـــتـــابِ اللـه، من آياتـه
تُملى على جـــيل الفـــداءِ وتَسْـــردُ

إن الجـــهـــادَ عـــقـــيـــدةٌ فى شـــرْعِنا
وهـو اللواءُ الـواحـــدُ المُتـــوحِـــدُ

عينٌ على القـــدسِ الشَّـــريف، و بيـــتـــه
وبمكـةَ البـــيـــضـــاءَ، عينٌ تـرصُـــدُ

وعلى شُطوطِ الأطلسى خـــيـــولُهُ
وجنودُ «عُـقــبـــةَ»، والجُـيـوشُ الحُـشَّـدُ

حَمَلَ الرِّسالةَ لم يخنْ أهدافَها
طفلٌ بغزةَ يافعٌ مُتَمَرِّدُ

يَرمى حجارتَهُ بوجه عداته
ويصولُ فى ساحاتِه، ويُصَعِّدُ

وتَدورُ فى الأفقِ البعيد تطلُّعًا
عينانِ شَاقَهما الحنينُ المُسعدُ

إنَّا برغم جُنودهمْ، وعتادهمْ
لا ننثنى عَنْ عَزْمِنَا، لا نَقْعُدُ

لَسْنَا نخافُهمو برغمِ رَصَاصِهِمْ
هذا الّذى مطرًا يَزِخُ ويرفِدُ

لَسْنا نخافهمو، فإنَّ حجارةً
مِنَّا تواجهُ حشدَهم تَتَرصَّدُ

حجرٌ إلى حجرٍ، ويهدرُ عارمٌ

من مـوجِنا، يعلو الدّروبَ ويُزْبِدُ

(١٣)

قالوا بأنّا الأغبياءُ لأننا
مازالتْ الأوطانُ فِينَا تُوعَدُ

ولأننا بتُرابِها، وحِجَارِها
وفَضَائِها، وسَمَائِها نَتَعَبَّدُ

ولأننا ما رملَةٌ من أرضها
إلا وفى أحداقنا تَتَعَمَّدُ

ولأن مِنْ «رفح» إلى «صفد» لنا
فيها وقوفٌ خالدٌ، وتَوَجُّدُ

ولأن «حيفا» لم تزلْ ميناءنا
ولأن كرْمِلَها بِنا يَتَوَرَّدُ

ولأن «يافا» فى عيونِ صغارنا

لَمَّــــا تَزَلْ رَفْــرَافَـــةً تتـــهــــجَّـــدُ

ولأن «رَمْـلَــتَـنـــا» هــنـــاكَ و«أُلــدنـــا»
نـيــــرانُ أشـــواقٍ بنا تَـتَـــوقَّـــدُ

ولأنـــنـــا . . ، ولأنـــنـــا . . ، ولأنـــنـــا
ويـطـولُ مـــا يُحكى، ومـــا يَتُــرَدَّدُ

قُـلـنـا لـهـم إن كـــــانَ حـبُّ بـلادنـا
هـذا غـــبـــاءٌ، فـــالـغـــبـــاءُ مُــخَلَّدُ

(١٤)

لا سـلـمَ والأجـنـادُ فـــــوقَ رءوسـنـا
أكـــعـــابُهم، وحُـــقـــوقُنا تَتَـــبـــدَّدُ

لا سـلـمَ إن الـسّـلـم يُشـــــرقُ نـورُهـا
يوم انـزياحِ المعـــتـــدين وتُقْـــصَـــدُ

إن الســـلام هـو الـعـــدالـةُ مـــا ســـوى

هذا سلامٌ يُفتَدَى ويؤيدُ

إن السّلاَم بأنْ تكونَ حقوقُنا
محفوظةً لا تستباحُ وتوأدُ

فَهَلِ العدالةُ أن نُطاطئَ رأسَنا
للغاصبين، ونُسْتَبى ونُقَيَّدُ؟

وهلِ العدالةُ أن يموتَ صغارُنا
جوعًا، ويطوينا الظّلامُ الأسودُ؟

(١٧)

وَقَفَ الفَتى، والقدسُ ملءُ عيونِهِ
تبدو القبابُ مشوقةً والمسجدُ

«اللهُ أكبرُ» ثمَ أتبعها الفتى
بالانتقامِ مزلزلاً يتوقدُ

سَلِمتْ يدٌ عــــرفتْ طريقَ مَـــسَــــارِها
وتحكمتْ فـــيـــــهِ فَـــلانَ المِقْـــوَدُ

مِنْ خَـــالِقٍ، ألقى بهمْ لِحَـــضِــيْـــضِـــهِمْ
للمـــوتِ يطوى جـــمـــعـــهمْ، ويُبَـــدِدُ

مُـــوتوا كـــمـــا تَبْـــغُـــونَ أنتمْ مـــوتَنَا
وتَجَـــرَّعـــوا كـــأسَ المنيـــةِ واشـــهـــدوا

فَـــمِنَ الخـــيـــامِ من الكهـــوفِ جُـــمـــوعُنَا
تأتى كـــمـــا الموجِ العَـــصُـــوفِ وتَنْهَـــدُ

حـــجـــرٌ إلى حـــجـــرٍ، وتمضى ثورةٌ
شـــعـــواءُ عـــارِمَـــةٌ تضِجُّ وتُرعِـــدُ

(١٨)

أقـــبلتَ فى الأقـــمـــارِ أروعَ مَـــشْـــهـــدِ
اللهُ أكـــبـــرُ جلَّ ذاك المشْـــهـــدُ

النَّارُ تأكلهمْ، وتَذْروا جَمْعَهمْ
وصُراخُهمْ يعَلو، وأنْتَ مُمَدَّدُ

عينانِ مطبقتانِ، ياليتَ الشّرى
وهدوءُ إنسانٍ، وقلبٌ مُجْهَدُ

وجهٌ كما بدرِ السّماءِ مُجَلَّلٌ
بالكبرياءِ مُنَورٌ مُتَورِّدُ

غَضَّتْ جبالُ القُدسِ عندكَ طَرَفَها
وَحَنَتْ عليكَ مَشُوقةً تَتَوددُ

شَرَّفتَها، ونَفَخْتَ فيها روُحَها
وبَعَثْتَها تَسمو شُموخًا تَصْمِدُ

الانتفَاضَة منذُ شبَّ لهيبُها
هيهاتَ تهدأ نارُها أو تُخمدُ

(١٩١)

عـــينى عليكَ، حــبــيبَ قلبىَ منْ هُنَا
أرنو إليكَ أنا الطَّريدُ الـمُــبــعــدُ

وأراكَ حَــوْلكَ عُــصْــبــةٌ مَــجْنُونَةٌ
شـــوهاء بالإثمِ الـمُــدمــرِ تُحــشــدُ

هم يســألونكَ. . فــيمَ أنتَ فَــعْلْتَــهــا؟
عــجــبًــا. . أمــا علمــوا لماذا تَحْــقِــدُ؟

أيُقَــتِّلونَ صِــغــارَنا، ونســاءَنا
ونَظَلُّ كــالموتى، نُبَــاحُ، ونحُــصــدُ؟

هُــم يَسْــألونك مَنْ رِفــاقُكَ؟ من تُرى
خَطُّوا طريقَكَ؟ أحكمــوهُ، وحَــدَّدُوا؟

ومَنْ الألى انتــزعــوا سِــهــامَ عــذابهمْ؟
واليــهــمــو رَدوا السِّــهــام وسَــدَّدوا

هو فعلهمْ يرتدُّ مشئومًا لهم،
وبِمِثْلِ ما كالوا نَكِيلُ ونُوردُ

هم يسألونَكَ: ما انتماؤكَ؟ ويحهمْ
جَهِلوا فهَلْ هذا سؤالٌ يُوردُ

الانتماءُ لكُلِّ حَبَّة رملة
بالدّم خَضَّبها الشَّبابُ الأمجدُ

«شعبى هو التنظيم» قلتَ مجلجلاً
فيه نُجَمِّعُ للجهادِ، ونُحْشَدُ

نُظِّمتُ منْذُ ولدتُ بينَ صفوفه
والثأرُ تنظيمى الّذى لا يُجحدُ

ما فى فلسطين التى أنتم بها
إلا الذّى مِنْ أجلها يَتَجَلَّدُ

فَلنا نقاءُ سمائها، وفضائها

والماءُ، والتُّربُ الّذي يتوقدُ

ولنا مآذنُها التي يعلو إلى
بابِ السّماء هديرُها يترددُ

ولنا كنائسُها، ودورُ عبادة
اللهُ فيها بالمَحَبَّةِ يُعْبَدُ

فإذا صَلُبْتُ أمامَكم، وتَجَلّدَتْ
روُحي تُنَهنَهُ في العَذابِ وتُجلَدُ

فلأنني أدري بأنَ غرُوركم
هذا، سَيَقْهَرُهُ الصَّمودُ ويدحضُ

ولأنني بيني وبينَ أحبتي
عهدُ الوفاءِ مُخَلّدٌ، ومُوطّدُ

ولأنني بالموت أنشدُ غَايَةً
تَسْمُو عنِ العَيْشِ الذّليلِ، وتَخْلدُ

(٢٠)

يـاابـنَ المـعـــــــسكـر إنَّ فـى أعـنـاقـنـا
دَيْـنٌ، وإن طالَ المَدى سَــــيُـــسَــدَّدُ

أيـقـظـتَ فــيـنا هـمــةً مــخــبــوءةً
ورَددْتَـهـــا أمـــلاً جـــمـــيـــلاً يُـولـدُ

قُـلْـتَ الَّـذى قَـــدْ قُـلْـتَ لحظة وثـبـــة
جُـنَّ الـعـــدوُّ لـهـــا، ومَـنْ قَـــدْ هُـوِّدُوا

نُـصــراؤهـمْ زاغـت عُــيــونُ بـصــيــرة
مِـنْـهُـمْ، وطـاشَ صــوابُـهـمْ، وتَـجــمــدوا

فَــرْدٌ بـجــيـشٍ، بـالـسّـــرايـا كُـلِّـهـــا
بـجــمــيـعِ مــا حَــشَــدوا ومــا قَــدْ جَنَّدُوا

بـالـطـائـراتِ الـهـــابـطـاتِ مَــــذَلَّـةً
تَـهــوى إلـيـكَ كَــســيــرةً تـســتَـنْـجـدُ

بمجنزرات، زاحفات مثلما
الأفيال ترجمها الحجارُ، فتسجدُ

قلتَ الذى قل قلتَ إن رسالةً
أرسلتها تُعيي البيانَ فيجمدُ

(٢٢)

يافخرَ أمتنا، ورمزَ خلودها
ياأيها البطلُ العظيمُ السيِّدُ

الشِّعرُ يسمو بالجهادِ ويعتلى
هامَ النُّجومِ قصيدُه المتجددُ

الشِّعرُ لولا أنتَ جَفَّ مَعِينُه
وتبعثرتْ أبياتُه تتبدَّدُ

الشِّعرُ زَلزلةُ النُّفوسِ بصدقهِ
وعطائه تسمو النفوسُ وتُحمدُ

الشِّعر ليس تراجعًا، وتخلفًا

وترددًا عما نريدُ، ونَنْشُدُ

الشّعرُ غايتُهُ التّحررُ والعُلا

وَسَبِيْلهُ النَّهجُ السَّويُّ الأوحدُ

عابوا علينا أنَّ نبرةَ شِعرنا

تعلو وأن قَصِيدَنَا يَتَوقَّدُ

وبأننا مثلُ الرَّصاصِ، كلامُنا

يأتى إلى صدرِ العدو يُسَدَّدُ

عابوا علينا أننَّا لمَّا نزلْ

نشدوا لأيام الجهادِ، ونُنشِدُ

ماذا نُسميها فلسطينا إذا

لم تأتِ شعرًا رائعًا يَتَخَلَّدُ

فَلَنا الشّجاعةُ فى مواجهِ الألى

جاروا على قُدْسِ العُروبةِ واعتدوا

إنَّا نُسَمّي القاتلين بإسمهمْ
ونُحدِّدُ الهدفَ الشَّريفَ ونَرصُدُ

الشِّعرُ باسمكَ، ياحبيبَ قلوبنا
يبقى لأجيالٍ تَجيءُ وتولَدُ

يبقى لهمْ، ليضيء درب وجودهِمْ
ويكون نِبْراسًا، يُنارُ به الغدُ

تونس : ١٩٨٨



الشيخ أحمد ياسين

نكون.. أو لا نكون

[وجهت زوجة الشيخ أحمد ياسين نداء للإنسانية من أجل الشيخ المقعد المريض في سجون الاحتلال الإسرائيلي]

(١)

حَمَلَ البَرْقُ، صوتَها . . والأنينُ ... وأتانَا، نِداؤها والحَنينُ

شَيخُها الباسلُ الأبِيُّ المُرَجَّى ... زوجُها الطَّيِّبُ الكريمُ الحنونُ

في دُجَى السِّجْنِ في شقاءِ لياليهِ ... مريضٌ مُعَذَّبٌ، مَطعُونُ

شيخُها المُقْعَدُ العظيمُ يقاسِي ... لا طبيبٌ، لا زائرٌ، لا مُعِينُ

قَدْ أحبَّ البلادَ - أرضًا سماءً ... فهو بالأرضِ مُغْرَمٌ مفتونُ

(٢)

قالَ: ما رملةٌ نفرِّطُ فيها ... حَمَلَتْها قُلوبُنا، والعُيونُ

هي منَّا لنا اشتياقٌ ووجدٌ ... وعَذابٌ، وحُرقةٌ وحَنينُ

هي في عُرفِنا عقيدةُ إيمانٍ ... وعهدٌ على الوفاءِ، ودينُ

قالَ ما قالَ، والجماهيرُ رَجْعٌ ... لصداهُ، مُزَلْزِلٌ، وَمكِينُ

مُقْعَدٌ أعْجَزَ الكتائبَ والجيشَ ... صبورٌ على الجهادِ أمينُ

(٣)

سَجَنُوهُ، ومـا دَرَوا أيُّ شيخٍ هو هذا المُقَيَّدُ المَسْجونُ

سَجَنُوهُ، وهو الطَّليقُ بِرُوحٍ تَتَحدى . . فَمَنْ تُراه السجينُ؟

سَجَنُوهُ، ظنا، بأنَّ لهيبًا من لظاهُ، يَذل يومًا يهونُ

سَجَنُوهُ، والسِّجنُ يسمو شموخًا بالبُطُولاتِ يَزْدَهي ويَزِينُ

(٤)

الجيوشُ المُدرَّعاتُ إليهِ زاحفاتٌ تَذلُّ خِزْيًا تَدِيْنُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ على الحقِّ باقٍ لا يبالي بعَسْفِهِمْ لا يَلينُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ يجاهرُ بالرَّأى ويُعْلي لواءَهُ، ويَصُونُ

ذَنْبُهُ أنَّهُ يقولُ فلسطينُ لنا نَحْنُ شعبُها المأمونُ

نحنُ لا غيرُنا، حماةُ حماها نَحْنُ درعٌ لها، ونَحْنُ الحُصونُ

قالَ . . ما قالَ، صامدًا لا يبالي بِسَواطِ العَذابِ لا يَسْتَكينُ

عذَّبوه، فما تَراخى ارتدادًا لا ، ولا هَزَّهُ العَذابُ المُهينُ

هو يَدري بأنَّ عُمْرَ أعاديه قصيرٌ، وعَهدَهم مطعونُ

(٥)

سألوهُ: لمَنْ فلسطينُ هذي ولمَنْ يهدرُ اللَّظى المَجْنُونُ؟

اسْألوا حَوْلكمْ، تجيبُ ليالٍ هي منا لنا تجيبُ السُّنونُ

اسألوا حَوْلَكمْ، تُجيبُ العصافيرُ يُجيبُ . . الليمونُ، والزَّيتونُ

اسألوا حولَكمْ، تجيبُ جبالٌ وسهولٌ، وأربعٌ، وحُزُونُ

اســـألوا حـــولكمْ، تجـيبُ روابى القـــدسِ تَحكى أخــبــارَها حطِّينُ

إن هذا التّـــــرابَ غـــــال علـينا وعـــــزيزٌ، مُـــقَـــدَّسٌ وثمينُ

هـذه دورنـا شــــــواخصُ تحكـى فـاسـمـعـوا صـوتَهـا يُجـيبُ اليـقينُ

(٧)

الجــــهـــــادُ الّذى رفـــعنا لِواهُ هُو مِنْ أجلِهـــا عـــزيزٌ مَكينُ

لا انـــثـــنـــاءٌ، ولا ارتـــدادٌ ولــكـــنْ ثورةٌ غـــيـــثُـــهـــا سَكوبٌ هَتُـــونُ

بالدِّمــــاء، الدِّمــــاءِ نَروى ثراها لا جـــبـــانٌ فى صَـــفِّنا لا خَـــئُـــون

إن مَنْ عُلِّم الجــهـــادَ صَـــغْـــيـــراً لا يُبـــالـى مَـــتَى تُكونُ المَنُونُ

حـــاورُوهُ لـيـــلاً، نهـــارًا وخـــابوا فـــهـــو كـــالسَّـــيفِ جـــارحٌ لا يلينُ

(٨)

مُـقْـعَـدٌ صوتُه، يُجلجلُ فى السِّجنِ فـــتـــهـــتـــزُّ مِنْ صَـــداهُ السُّـــجـــونُ

هو أقـوى مِنَ السَّلاسلِ والسَّجـانِ أقـــــوى فُـــــؤادُه، والجَـــــبَينُ

آيةٌ النَّصـــر فى مـــحـــيـــاه تعلو وهى فــجــرٌ، مِنَ الجــهـــادِ مُـــبينُ

هو يدرى، أن الجــمـــاهيـــرَ زحفٌ لا انـــحـــنـــاءٌ، لا ردةٌ، لا سُـــكـــونُ

(٩)

جـــاءَنا الصَّـــوتُ، من بعـــيـــدٍ إلينا صـــوتُهـــا، وانفـــعَـــالهُـــا الـمَـــحْـــزُونُ

أتنادى؟ . . ومـن تنادى؟ زمـــــانًا كلُّ مـــافـــيـــه، ســـيِّـئٌ مَلْعُـــونُ

أتـنادى؟ ومـن تـنـادى؟ رجـــــالاً فى التـفـاهات عـمـرُهم مَـعـجُـونُ

أتنادى السّـيـوفَ؟ مـا مِنْ سيـوفٍ بعــدُ قَــدْ خُــبِّـئَتْ، وغِـيلَ العَـرينُ

(١٠)

تَتَـوالى الأخـبـارُ، تَتْـرى إلينا ... والجـهـادُ، والمؤزرُ الميـمـونُ

أهلُنُا الصَّامـدونَ، مـا مِنْ مـجيرٍ ... لنِدَاهُمْ، ولا صَـبَـاحٌ مُـبينُ

شُـغلوا عنهمُ، فليسَ عـجـيـبًـا ... أن يُشـيـحـوا وجـوهَهَم أنْ يَهُـونوا

أنْ ينامـوا على جـراحِ المآسى ... لا التـفـاتٌ، لا ثورةٌ، لا حَنينُ

خـيَّمَ الصَّـمتُ، فـالدِّيارُ خـواءٌ ... دَبَّ فـيـهـا الخَـرَابُ، والطَّاعـونُ

يتـسلونَ باجـتـرارِ الأمـانى ... والأمـانى بلوغـهـنَّ ضَنينُ

فالتحفْ بالصُّمودِ عِزاً، وصبراً ... ياكـريمَ الجَنـابِ، يا «ياسين»

لا تُبـالى مـهـمـا تجـوُرُ العَـوادى ... أو يـشـاءُ المراوغُ المجنـونُ

الجـهـادُ. . الجـهـادُ، مـا مِنْ سبـيلٍ ... غـيـرَ هذا، نكونُ. . أو لا نَكونُ

تونس: ١٩٨٩



منذر الدهشان

منذر الدهشان

[عن الفتى منذر الدّهشان الذي
يواجهُ في سجون العدو،
حكماً بثلاثة مؤبدات]

(١)

– : مِنْ أينَ «منذرُ الدَّهشان»
: مِنْ «حارة الزيتونِ» مِنْ مشارفِ «العُمْدَانْ»
– : مَنْ منكُمو توقفتْ عيناهُ،
تَقْرأُ الأسماءَ،
توقظُ التَّاريخَ
تُرجعُ الزّمانْ

(٢)

فهذه الحارةُ،
ذاتَ يومٍ،
حاصرتْ دُروبَها الغرْبَانْ
جحافلُ التتَارِ، أقبلتْ مَسعُورةً،
يَقُودُها الشَّيطانْ،
تَحْملُ أسوأ ما سَطَّرَ التَّاريخُ،
في صفحاته، وسَجَّلَ الزّمانْ
مِنْ بعدِ ما قد دَمَّرتْ بغداد

أحرقَتْ تُراثَها ، واجتاحتْ البنيان

على مشارفِ المدينة ، العزيزة المكانْ

تجمعتْ حشودهم ، وأطلقَ الإنذارَ

«كتبو غايتهم» وكرَّروا الإعلانْ

«إستسلموا ، وسلِّموا ، أو نُعملُ

السيفَ بكمْ ، ونُشْعلُ النَيرانْ»

و«غزة» المدينةُ الشَامخةُ العرنينِ

والجامحةُ العنانْ . .

صامدةٌ في وجههمْ ،

تُعْلنُ رفضَها الجموحَ

تُعلنُ العصيانْ

(٣)

وهاهنا ، في ساحةِ «العُمدانْ»

تجمَّعَ الفُرسانْ

من «مصر» من محروسةِ الرَّحمنْ

توافدوا ، يُكبرونَ ، يصدحُ الأذانْ

وكانَ ، ما قد كانْ

الفارسُ الشَّجاعُ «بيبرسُ»

طاردَ الغزاةَ ردَّهَمْ «لِعَينِ جالوتَ»

«إسلاماهُ» تخرقُ الأجواءَ
تبلغُ السَّماءَ،
توقظ الموتى، وتُشْعِلُ الذُّرى
وتلهبُ الكُثْبَانْ
و «قطزُ» والسَّيفُ اليمانيُّ،
يدورُ في الشمال، واليمينِ
لا يكُفُّ، يحصدُ الرؤوسَ
يُبْدعُ الطِّعانْ..

(٤)

وفي الصُّفوف كانتْ «غزة» الرجالِ
يومَها حاضرةً، بكُلِّ كبْرها الطَّالعِ
من تُرابها، والعُنفُوانْ
عَن أمة الإسلامِ،
كانَ ذاكَ اليومُ
عَنْ كرامةِ الإنسانْ
بوقفة الرجال، كانَ النَّصرُ ساطعًا
يُشرقُ مثلَ، الشَّمسِ،
يَدْحَرُ الدُّجى،
ويقهرُ السُّلْطانْ

(٥)

هذي هي العمدانْ

وهذه «غزةُ» يا «منذرُ»
مُنْذُ أوَّل الزَّمان،
حتى آخرِ الزَّمانْ
القلعةُ التى على أبوابها
يَسْتَسْلِمُ الغزاةُ،
يرفعونَ الرَّايةَ البيضاءَ
يُهزمُ الطُّغيانْ..

(٦)

«غزةُ» ياحبيبها،
تحكى لياليها وتروى،
قصةَ الفتى الدَّهشانْ
أحبَّها، وَذَاد عَنْ حيَّاضها،
قاتلَ، كانَ قدوة الفتيانْ

(٧)

يا «منذر الدَّهشان»
كَمْ مؤبَّد شاؤوهُ،
فى أحكامهمْ، فى شرعة البهتان؟
فى الزمنِ الردىء، والـمُهان
يُحاكمُ البرىءُ،
والمقاتلُ الجرىءُ،
يَحْكُمُ المُدَانْ

لأنهُ . . يا «منذر» الحبيب،
فى زماننا المعوج،
غُيِّرتْ أعْرَافهُ، وبُدِّلتْ،
وانقلبَ الميزانْ

(٨)

أمُكَ يا حَبيبَهَا،
قَدْ زَغْرَدَتْ، ولَوَّحَتْ منديلَها
مُخْتَالةً، يَقْطرُ منْهُ الحُبُّ والحَنَانْ
يُعَطِّرُ السَّماءَ،
بالفداء،
عاليًا، وعالياً يرتفعُ النِّيشَانْ

(٩)

قَدْ زغردتْ أمُكَ،
لَمْ تَشُقَ ثَوبها فى وَجْهِهِمْ،
لَمْ تَدْمعْ العَيْنانْ
: - «إصمدْ» تَقُولُها،
يُرَدِدُ الصَّدَى،
الفوارسُ، البواسلُ، الشّجعان
: - مَهْمَا دَجَى لَيْلُ الأسَى،
واسودَ،
مهما اشْتَدَتْ الأحزانْ

مهما القيودُ أحكمتْ وثاقَها

واسْوَدَتْ الجُدْرَانْ

فَقَادمٌ زَمانُنَا الآخرُ،

قادمٌ مِنْ رَحمِ الأزمانْ

يُبَشّرُ التُّقاةَ، والمرابطينَ

فى خنادقِ الصُّمودِ

بالسَّلامِ والأمان

بساعة آتية يُهَدُّ فيها السِّجنُ،

مهما صَلُبَت جُدْرَانهُ،

ويُسْحَقُ السَّجانْ . .

القاهرة ١٩٩٧



سهيله أندراوس

اعتذار..وانكسار

[إلى سهيلة أندرواس
فى سجنها البعيد]

(١)

نَعْتذِر، ونَنْكَسِرُ، ونُخذلُ نَحنُ الشُّعراءْ
فى زمنِ الرِّدة . .
غُيِّرتْ الكلماتُ، وبُدِّلتْ الأسماءْ
لن نسألَ بعدَ اليومِ
عن «المعتصمِ» الغاضبِ للشَّرف العربى
ولن نتحدثَ عَنْ «أسماءَ» أو الخنساءْ»
أصبحنا نحنُ هنود العصرِ الحمر،
وسَقطَ متاعِ الأجَراءْ . .

(٢)

ياقمرَ فلسطينِ الغارق فى الظَّلماءْ،
يانبضَ الحريّةِ يا كلْمَتها،
يا وردتَها الحمراءْ
يا «قُدسُ» . . ويا «يافا»،

يا «حيفا» المقهورة، يا «عكاء»

ياإسمَ فلسطين الضائعِ،

والمذبوحِ بسيفِ الأهواء،

يا صرخةَ كُلِّ الأسرى المنسيين،

وكُلِّ السُّجناءْ،

يا بنتَ التيهِ، وبنتَ الغُربةِ،

يابنتَ البؤساءْ. .

من يسمعُ صوتَك، هل يقدرُ أحدٌ،

أن يرفعَ إصبَعَه فى استحياءْ. .

(٣)

فى زَمَنِ الدَّجالينَ،

وزَمنِ الثرثارين،

وزمنِ الرُّقَعاءْ. .

لا يطلعُ فجرٌ،

لا يورق غُصنٌ،

لا تهدلُ ورْقَاء. .

لا تَذْرفُ عينٌ دمعةَ حزنٍ،

لا تنبثُ شفةٌ مِنْ وَجَعٍ،

أو منْ إعياءْ
النَّاسُ كما الحيطانِ
قُلوبٌ جامدةٌ صمّاءْ،
لا تسمعُ صرخةَ ليلى
طفلتكِ،
تُناديكِ صباحَ مساءْ

(٤)

يا غُصنَ الزَّيتونِ المكسورِ، على
مئذنة الأقصى، البيضاءْ،
يانَوحَ شَوَطِئنا التَّائقةَ اليكِ
ويا نفحَ روابينا الخضراءْ.
أعتذرُ اليكِ،
وأشهدُأنكِ أقوى منا
أقوى من كلِّ العُظَماءْ
وكلِّ الكبَراءْ. ،
أقوى من كُلِّ الكذَّابينَ،
الدَّجالين، وكُلِّ الفُصحاءْ

من يقدرُ منهمْ أن يغضبَ
أو يصرخَ أو يستاءْ

(٥)

أسألك العفوَ،
فنحنُ المقهورونَ من الأطلنطِ
وحتى الشّط العربى،
وحتى صنعاءْ
نتوسلُ منكِ العفوَ،
ونُقْرِؤكِ سلامَ الضُّعفاءْ

(٦)

نعتذرُ إليكِ، ونعتذرُ لشَاعرِكِ،
لليلى، ونقرُّ بأنَّا سُخفاءْ. .
نعتذرُ إليكِ،
لأنا نحنُ خَرِسنا،
وجَبُنا وتَقَاعَسْنا،

عن صَرْخَتِك الخَرْساءْ . .

نعتذرُ لليلى ، تنمو كالصُّبَّارِ

وتنبتُ فى وسطِ الصحراءْ . .

نعتذرُ لأحمدَ ،

نحنُ تَخلينا عنكِ وعنهُ ،

وعَنْ ليلاكِ ، وعَنْ كُلِّ الشُّرفاءْ .

القاهرة : ١٩٩٦

الحبس الاداري

[.. ابتدع العدو الصهيوني أساليب شتى لتعذيب شعبنا تحت الاحتلال منها الحبس الاداري.. صرخة واحدة من مئات نسائنا الصابرات]

(١)

لمنْ أشكو تُرى الحبسَ الإداري
بلا ذَنْبٍ، بلا أي اعتبارِ
فَستَّةُ أشْهُرٍ تَمضى لتَأتي
على عجلٍ بتكرارِ القَرارِ

(٢)

لَقَدْ دَهَمَ الجُنَاةُ، سُكُونَ بَيْتي
وَهَزُوا في ظَلامِ الليْلِ داري
وما رَحِمُوا، ولا رَقُّوا لعَجْزي
ولا التَفَتُوا، لتَرْويع الصِّغَارِ
لسَابعِ مرةٍ، يأتى ظَلُومَاً
قَرَارُهمو بتَجْديدِ الإِسَارِ

(٥)

أهذا العدلُ فى زَمَنِ التّرَدّي

وفى زمن المَذلّةِ والصَّغَارِ؟

ألِلإنسان عندهمو حقوقٌ

وفى وطنى يُسَامُ بالاحْتِقَارِ؟

أُسَائلهمْ تُرى ما ذَنْبُ زوجِي؟

وَفِيْمَ يَظَلُّ رَهْنَ الإنتظارِ ؟

وأسألُ، لا أجابُ.. بأي ذنبٍ

تُرى عاودتمو الحَبْسَ الإداري؟

(٤)

وَيَسْألني، صِغَاري كلّ يومٍ

مَتى يأتي، وأعجزُ أو أُداري

ولا أسْطِيعُ أن أُحري جوابًا

لأطفالي، ولا يجدى اعتذارى

أقولُ لهمْ، غداةَ غَدٍ سَيَأتى..

ولا يأتى، فأغْرَقُ فى انكسارى

(٥)

أعـــيشُ تَـوالي الأيـامِ حــيــرى
مُـضَـيَّـعَـةً، بليلى أو نهـارى
وأعـجـزُ أن أُزحـزحَ عَنْ عُـيـونى
خـيـالاتِ الشَّـقَـاءِ والانْهِـيـارِ
أفي الدُّنيـا شـقـاءٌ مـثـلُ هذا،
الذى أنا فـيـهِ مِنْ حُـزْنٍ ونَارِ

(٦)

صِـغَـاري كُـلَّـمَـا زاروا أباهـمْ
رَمَـوني فى مَـتَـاهاتِ القِـفَـارِ
أجـدِّفُ، لا أرى إلا سَـرابًا
يُراوِغُني، فـأغـرقُ فى الغُـبَـارِ
وألجمُ لستُ أُحـري مِنْ جَـوابٍ
لأسْـئلةِ الأعـزاءِ الصِّـغَـارِ

(٧)

لماذا..؟ فـيـمَ؟ لا أحـدٌ يُلَبِّي

نـدائي أو يـردُ عـلـى انـهـيـاري
ألإنسـانيـةٌ هـذي لـعـمـري
مـلـطـخـةٌ بـعـارٍ، أي عـارِ
بـلا حُكْمٍ، ومَحْكَمـةٍ وعـدلِ
يظلُّ رفـيق عـمـري فى الإسـارِ
لمنْ أشكو، ومـاذا قَـدْ تَبـقَّى
لَدَيّ من الـشَّكـاةِ والانـفـجـارِ
أنـا أمٌّ، وكـمْ أمٍ كَـمـثـلي
مـلـوعـةٌ من «الحـبـس الإدارى»

القاهرة ١٩٩٧



سمر سامي العلمي

يا أنت يا سمر...

[إلى سمر سامي العلمي
في سجنها البريطاني البعيد]

(١)

ماذا أقولُ يا سَمَرْ . . .

وكلُّ شيء ضاعَ منْ عُيُونِنا انتَحَرْ

ما عادَتْ الشَّمس، تُحاربُ الظَّلامَ،

وما عادَ القَمَرْ

(٢)

غزةٌ، وطنُ الأهلِ، ودارُهمْ،

تسألُ عنك، يسألُ الشَّجرْ

ويسألُ الشَّاطئْ،

يسألُ الموجُ الذي، على رمالهِ انكسرْ

وتسألُ الدُّروبُ، والأزقةُ التي

تملأُها الحُفَرْ

وتَسْألُ العَصَافيرُ، على جَدائلِ الزَّيتونِ،

والليمونِ، تَسْألُ الأصالُ والبُكَرْ

(٣)

تسألُ عَنْ صبيةٍ، واعدةٍ،
غابتْ سنينًا،
غابَ أهلُها فى التيهِ،
فى السَّفَرْ
تسألُ عن أسرتكِ التى
من أكرمِ الأسَرْ
تسألُ عن سامى،
وعنْ زهير، عن عدنان،
تسأل الزُمرْ

(٤)

غزةُ يا سَمَرْ
كَمْ شَمَّرتْ ساعدَها،
كم أقلعتْ فى حَومةِ الخطرْ
غزةُ يا سمرْ. .
تحفرُ اسَمك الرّائعَ،
فوقَ قُبةِ الجامعِ، فى حارَتنا،

وتنقشُ الذِّكَرْ

فهاشمُ، جَدُّ النَّبى، جارُكمْ

وجارُ داركمْ، مازالَ ينتظرْ

عودتكمْ مبللين بالنَّدى،

معطرينَ بالزَّهرْ

(٥)

ماذا أقولُ يا سمرْ

قد ضاعَ مِني القولُ،

شُوِّشَتْ فى رأسى الفكَرْ

فأنتِ فى صُمودكِ الأبى،

عبرةُ العبرْ

وأنتِ والأسرةُ فى عيوننا

وفى قُلوبنا، مدى العمرْ

ياإبْنَةَ الشَّعب الّذى

ما ذلَّ مرةً، ولا انْدَحَرْ

فالانتفاضةُ التى منْ أجلها

آثرتِ موقفَ الصُّمود والخطرْ

تبقى أعزَ ما أبدعَ شَعْبُنا

العظيمُ ما ابتكرْ
والشُّهداءُ فى عليائهمْ
يُعَرِّشون حولَ السّجنِ ،
يسألونكَ الصُّمودَ للقَدَرْ

(٦)

شامخةٌ كَما جبال القُدسِ
والخليلِ ، مثلما نابُلسَ يا سمر
ثابتةٌ كما صُمُودنا الأغرْ
تُعلِّمينَ القادمينَ من أجيالنا ،
والنَّابتينَ فى مَسالكِ الشَّرَر
بأنَّ لا شىء يُساوى
لحظةَ افتداء الأرضِ ،
لحظةَ الظَّفَرْ

(٧)

أواهُ يا سمرْ
يازهرةُ النَّارنْجِ
يا سَوسَنَةُ الوُديانَ
يا حبيبةَ السَّحَرْ
يا قمراً أطلَّ فى سماء غزةَ ،

التى هناكَ تنتظرْ

تَجَمَّلى بالصّبر ، كَمْ شَعْبُكِ

فى عذابِهِ صبرْ

(٨)

ماذا أقولُ يا سمرْ ! !

ماذا أقول بعدُ ،

قصَّر الكلامُ واعتذَرْ

القاهرة: ١٢ يناير ١٩٩٦

رسالة مفتوحة

[إلى القاضي البريطاني «باتريك جار لاند» الذي أصدر حكمه على سمر العلمي وجواد البطمة بالسجن عشرين عاما]

(١)

يا سيدى . . ،

بكيْتُ، عندَ نُطقِ الحُكمِ،

موجعًا، بكيتُها العدالهْ

بكيتُها لأنها، قَدْ طعنتْ،

شعبى الحبيبَ،

خَيَّبَتْ آمالهْ،

(٢)

أهذه هى العَدَالهْ . . ؟!

ألا يزالُ بَعْدُ، منَ يَقُولُ :

إن فى بريطانيا،

لَها الجَلالهْ . . !

وهى الَّتى، قد أصدرتْ،

أحكامَها،

وأمْلَتْ الرِّسَالهْ . .

وهى الَّتى منْ أولِ القرنِ

نُجَرَّعُ الصَّابَ من كؤوسها ،

إلى الثُّمَالهْ . .

(٣)

يا سَيِّدى القاضى :

أقُولُها :

المجدُ للقانونْ ،

أرفَعُ رأسى عاليًا .

أهتفُ دومًا عاليًا ،

المجدُ للقانونْ

لكننى ياسيدى أسألُ ،

عَلَّ يسمعُ المُحَلَّفُونْ

عَلَّ الَّذينَ يَحكُمُونْ

فى لَحظةِ منَ الصَّفاء يُنصفُونْ

أسألُ :

فى أى شرائعِ الدُّنيا ،

يُسلَبُ وَطنٌ بأسرهِ

وأهلُهُ إلى العَرَاءِ يُطرَدونْ؟

فى أى شرعٍ،
يأكلُ الأغرابُ زادَهمْ، وخيرهمْ،
وهُمْ يجوعونَ، ويمرضونْ؟
فإنْ تَوجَّعوا، أو صرَخَوا،
أو حاولوا شَيئًا يُحاكَمُونْ!!

(٤)

يا سيِّدى،
ماذا جَنى جَوادُ؟
وما الَّذى جنَتْ سَمَرْ؟!
عشرونَ عامًا،
كيفَ..؟؟
من أينَ انتزعتَ الحُكمَ؟
من دفاترٍ للانتداب،
لمَّا تَزَلْ تُكوى فلسطينُ،
بنَارِها، وتُؤْتَسَرْ؟
مَنْذُ ثُلاثاءِ جَمْجُومٍ،
وَصَاحَبِيه
والكَوارثِ الأخرْ؟

مَنْذُ الثلاثاء التّي ،
تأرجحتْ بها الرُءوسُ ،
والأرواحُ ، والفكَرْ ؟
وأنتمو ، أمامَنَا ، وخَلفَنا ،
وفَوقنا ، تُحاصرُوننا بالموتِ والخَطَرْ
وتَزْعمونَ أن العدلَ ،
منْ دياركُمْ إلى الدُّنى انتَشَرْ

(٥)

ياسَيدى القاضى . .
تُرى سَألتَ مَرَّةً ،
وَهَلْ تساءَلَ المُحلَّفونَ ، والحُجَّابْ
عَنْ دُورنا الّتى يَسكُنُها الأغرابْ
وعَنْ كُرومِنا التى ، يدورُ فى أنحائِها النُّهابْ
هل سألوا ماذا تُرى قد فعلتْ
بنا بريطانيا . والانتدابْ
هل حَاولوا أن يفتحوا الكتابْ
أن يقرأوا كيفَ أتوا بوعدهِم
فَدَمَّرُوا حياَتنا ، وعَمَّمُوا الخَرَابْ

(٦)

ياقاضي القضاةِ

أيها السَّيدُ

هل حاولتَ أن تسترجعَ

الأيامْ؟

أكانَ جَدُّك الَّذى قَدْ حَطَّ،

فى ديارِنا،

وأغرقَ البلادَ فى الظَّلامْ؟

أما شَعَرْتَ لحَظةً

بعقدةِ الذَّنبِ؟

أما تذكرتْ للحظةٍ

حكايةً للثَّاكلاتِ والأيتامْ؟

أما رأيتَ طفلةً، كما الصبيةَ

التى حاكمتَ، لا دارٌ، ولا أهلٌ

ولا هويةٌ، ولا أحلام؟

(٧)

ماذا تقولُ . . أيها السَّيدُ

للصبيةِ التى قد واجهتكَ

تلعنُ الارهابَ والإجرامْ؟

صبيةٌ نقيةٌ، كمثلِ ضوءِ الفجرِ

مثلما النَّدى، ومثلما الغمامْ

بريئةٌ أدَنْتهَا،

وأنتَ تَدرى أنها

أصفى من الصفاءِ فى شُموخها

أنقى من الإلهام..

(٨)

ماذا تقولُ، ياتُرى لفارسٍ

ينهضُ مثلَ السيّفِ

فى وجهِ الأذى، والاتهامْ؟

أما قرأت فى عينيهِ

دفقةَ الحُبِّ، ونبضَةَ الحنانِ،

روعةَ الوِئامْ؟

أما تُحب مثلما أحبُّ،

أن يَعُمَّ الخيرُ فى ديارِهِ،

وينشرَ السَّلامْ؟

أماتَ كُلٌّ شىء فيكَ
مثلما قد ماتَ عندَ مطلعِ
القرنِ الضَّميرُ فى بلادكْ ونامْ؟

(٩)

ياسيدى القاضى . .
أبَيْتَ إلا أنْ تعيدَ
ذلكَ الماضى البغيض ،
تُوقظَ الآلامْ
أبيتَ إلا أن تجورَ فى حُكمكَ
تحرقُ الزَّيتونَ
تقتلُ الحمامْ

(١٠)

ياسيدى القاضى :
صَرختُ شاعراً
صَرختُ إنسانًا
صَرختُ لاجئًا مشَّردًا
صرختُ واحدًا من الأنامْ

أعدتنى فى لحظة
من بعد ما لجأتُ للصَّمتِ
وآثرتُ السُّكوتَ
فى زمانِ الانفصام
لأنبشَ الأوراقَ
من مرقدِها
وأشرع الأقلامْ
عسى لعلَ صرختى إليكَ
توقظُ الكامنَ فيكَ
تبعثُ المبادئَ العظامْ
فتذكرُ الشَّعب الذى ظلمتموهُ
مُنذُ أن دخلتمو ديارَه
حكمتمو عليه بالإعدام.

(١١)

يا سيدى القاضى..
رسالتى إليكَ
عَبْرَ الرِّيحِ، عَبْرَ المَوْجِ.
عَبْرَ عالمِ الأوهامْ
تطيرُ مِنْ يدٍ إلى يدٍ

تَحُطُّ مثلَما حمامةٍ ، وادعةٍ ،

وتَحْمِلُ السَّلامْ

رِسالتى مَفْتُوحةٌ ياسيدى

مفتوحةُ الجرحِ تظلُّ

هكذا بلا التئامُ

رسالتى تَصْرُخُ بالسَّماء

بالجبالِ ، بالتِّلالِ ، بالآكامْ

تَبْحَثُ عَنْ لحظةِ صدقٍ ،

لحظةِ عدلٍ ، لحظةِ ابتسامْ

تبحثُ عن ختامْ

وهى تَظَلُّ دونما ختامْ

حتى يكونَ العدلُ ،

سيدَ الأحكامْ

فالعدلُ وحدَه ، لا غيرهُ

يحققُ الحقَّ ، وينشرُ السّلامْ

القاهرة : ٢٨/ ١٢/ ١٩٩٦

دعوة إلى الكتابة .. !!

[.. لعل أقل ما نعبر به عن إعجابنا بسمر سامى العلمى، وإكبارنا لمشاعرها الوطنية، والإنسانية هو أن نكتب لها وهى فى زلزالتها البريطانية الباردة، لنبلغها كم هى غالية علينا وكم نحن فخورون بها. .]

د. أنيس صايغ السفير ٢٠/١٢/١٩٩٦

(١)

ياإخــــوتى. . أدعـــوكمُ أن تكتـــبـــوا
لعــــــزيزة، جـــــوراً، وظُلمــــاً تُغْلَبُ
فى السِّــجنِ أختكمُ، تعــانى قــهــرَها
وبليلهـــــا القـــــاسى الطويِّلِ تُعــــذَّبُ
ســـمــــرُ العـــزيزةُ، من لهــا إلا الألى
مــن أجلــهــم، هــذا الـعَـطَـاءُ الـطَّـيِّـبُ
كُـــــونوا لهـــــا بِحنَانكمْ، وحنينكم
وبِحُـــــبِكمْ وبكلِّ مــــا تتَــــرقَبُ

(٢)

سَـــمَـــرُ العـــزيزةُ، آثرتْ فى بَذْلهــــا
وطنَّا، يهــــددُّ بالضَّـــيـــــاعِ ويُنْهَبُ
ضَـــرَبَتْ لَنَا مَـــثَــلاً، وكَـــانتْ قـــدوةً
فى البــذلِ، لا تَخْـــشى ولا تَتَـــهــيَّبُ

مـــا هَمَّـــهــا تَرَفُ الحـيـــاة ولَهْـــوُها
أو أىُّ مــــا يُـغْـــرى البَنـاتَ ويـجــــذِبُ
نَهْلَتْ من العِلـمِ الكثـــيـــرَ وأبدعتْ
فـــيـــه، وظلتْ تســـتـــزيدُ وتـطلبُ
جـعلتْ فلسطينَ الحـبـيــبـةَ همّــهـــا
والغــــايةَ القُـــصَـــوى التى تـتَـــرقبُ
حَلِمتْ بـهـــــا وطنًا، كـــــريمًا آمنًا
لا ظالمٌ فـــيــــه، ولا مُــتَـــعَـــصِّبُ
مـــا فـــيـــه مُـــحْـــتَلٌ يعكرُ صـــفـــوهُ
ويُـزَوِّرُ التــــاريـخَ فـــيـــــه ويـكـذبُ
يغــتـــالُهُ شِــبــراً فَــشِــبــراً ظَالماً
ويظلُّ يســـــــــرقُ من ثَـراهُ ويَـنْـهَـبُ

(٣)

قـــــالتْ: لأجلكِ يابلادى همَّـــــتى
ولأجلِ مَنْ قَــــدْ شُـــــرِّدوا وتَغَـــــرَّبُوا
حَـمَلَتْ أمــانيــهــا الكبــارَ تَجَـشَّـمَتْ
للصَّـــعب تَهْـدرُ فى الجُــــموعِ وتَخْطُبُ
«جـــان دارك» ثانيـــةٌ تعـــودُ وصُـــوتُهـــا
يعلو كـــــزلزالٍ يموجُ ويَصْـــــــخبُ

عـــادت كـــمـــا «الخنســـاء» فى إقـــدامـــهـــا

لـلـه لـيـس لغـــيـــره تَـتَـــقَـــربُ

(٤)

سَـمَـرُ الصبيـةُ، والطَّريقُ أمَامَـهـا

داجٍ يُغَلِّـفُـه الظَّلامُ المُـرْعِبُ

دَفَـعَتْ مَشَاعِلَها، وشَقَّتْ دربَها

والحقُّ، والوطنُ الحبيبُ المأربُ

«يافا»، و«حيفا»، والدِّيار جميعُها

فى مُقْلَتَيْها صُورةٌ لا تَغْرُبُ

«والقدسُ» تَسكُنها، ويسكنُ شوقُها

المشبوبُ فى وجدانها يَتَلَهَّبُ

ومآذنُ الأقصى، وأجراسٌ على

قُبَبِ الكنائسِ تَسْتَجيرُ وتَنَدُبُ

(٥)

قُولوا لقاضِيها: ظلمتَ وأعلنوا

أن العدالةَ تُسْتَذَلُّ وتُحْجَبُ

قولوا لَهُ: إن المَسيحَ مُكَبَّلٌ

فى القدسِ ثانيةً يُساقُ ويُصْلَبُ

قـــولـوا: أتـؤمنُ بالمســـيحِ فـــإنْ تَكُنْ
حَــقــاً فَــفِــيْمَ تجــورُ فــيـــمـــا تُذْنِبُ؟

أمِنَ الـعـــــدالـةِ، أن تُـديـنَ بـريـئـــــةً
ظلمًــا.. ويقـســو حُكمُكَ الـمُـتَــصَلِّبُ؟

(٦)

سَــمَــرُ الـعـــزيزةُ، فى ســوادِ عُــيُــوننا
وقـلـوبنا تَبــــقى ولا تَتَــــغَـــــيَّبُ

فى غــزةَ الـبــيــضــاء، يُشْــرِقُ إســمُــهــا
ولَهـــا بهـــا فــــيـــهـــا المكانُ الأرحبُ

هى ابنـةُ الوَطَـنِ الـعــــزيزِ ونَبْـــتُـــــه
تَزهـو بهــــا أجـــــيــــالُنا وتُـرَحِّـبُ

هى فى فـلـسطين، وفـى تـاريـخِــــهــــا
سِــــفْــــــرٌ بآياتِ الـبُطولةِ يُـكْتَـبُ

(٧)

يَدمى فُـــؤادى، كُلَّمـــا اذَّكَـــرتُهـــا
وتَـضِـجُّ أخــــيـلَتى، أثورُ، وأغــــضـبُ

لا خــــيلُ مـــعــــتـصمٍ، ولا أجنادُهُ
فى السَّـاحِ ضَلَّ المنجـدونَ، وغُــيِّـبـوا

أخــــتـــــاهُ عـــــفـــــواً، يا أعـــــزَ بنَاتنا

مــــا حـــيلتَى، وأنا الشَّــــريدُ المُـــتْــعَبُ

أنا شـــاعـــرٌ يا أختُ، ســـيــفى كلمَـــتى

فى الحقّ أجْـــــبَـــــهُ لا أخـــــافُ وأرهبُ

هى قُـــــدرتى هذى ومــــالى غــــيـــرُها

قَـلـمٌ أحـــــــــــدُّ من الـسِّـنـانِ وأغلَبُ

فـــإذا أقَـــصِّـــرُ عَنْك عَـــفْـــوك إنّني

أُخـــتي، وحَـــقك شــاعــرٌ ومُـــجَــرِّبُ

لــكِــنَّـهُ زمـــنٌ ردىءٌ كَـــــــــــــالحٌ

غــــــدارٌ يُـنْـذرُ بالخــــــرابِ ويَنْعَبُ

فَــتَــجَــمَّلي بالصَّــبـرِ، آتٍ فــجـرُنا

مــا اســـودَّ ليلٌ أو تطاولَ غَـــيْـــهبُ

القاهرة ١٩٩٧

الأرنب .. وأم إسماعيل

[مريم جمعة «أم إسماعيل» تعرفت إلى «عادل ترمس» أحد سجناء حزب الله أثناء زيارتها لزوجها جمعة المحكوم عليه بالسجن مدى الحياة]

(١)

أحكى لكلمْ . .

عَنْ «أم إسماعيل»

حكايةً لامرأة عادية

مِنْ شَعْبِنا الأَصْيلْ

(٢)

يَحْكُونَ عَنْها

فى ليالى «القدسِ»

فى «نابلسْ»

فى «غزةَ» فى «عكاءَ»

فى «الخليلْ»

يحكونَ عَنْ موقفِها النَّبيلْ

وَحُبِها للأرنبِ الجميلْ

(٣)

«عادلُ» هذا الأسمرُ

السُّكَرُ

مِنْ وَطنٍ

مِنْ أجمل الأوطانْ

ثارَ على مُحتْلِ أرضهِ

وَقَاوَمَ العُدوانْ

(٤)

لأمِ إسماعيلْ

كُلَّ أسبوعينِ رِحْلتانْ

إحداهما للسِّجنِ

فى «الرَّملةَ»

والأُخرى للأرنبِ

الذّى تُحُبهُ

فى سِجْنِ «عَسْقَلانْ»

(٥)

«مَرْيمُ»

مِثْلَ كُلِّ أُمّهاتنا

لا تَعْرِفُ الرَّفَاهْ

ولَمْ تَذُق كَغَيرِها

مِنَ المُنعَمَاتِ

لذةَ الحياهْ

(٦)

«مَرْيمُ»

لَمْ تُفكرْ مَرَّةً

فى بَيتها المَنسُوف

فى أولادِها الستَّةِ

فى البِنْتَينْ

فهؤلاءِ هُمْ أبناؤها

قَدْ سكنوا فى قَلبها

الحنونِ فى العَينينْ

(٧)

هَلْ صدفةً بأنها «مريمُ»؟

هذه السَّيدةُ الشَّمّاءْ

وأنَ إسَمها الذّى

تحملُهُ مِنْ أطهرِ الأسماءْ

وأنها على خُطى

أسماءَ، والخنساءْ

منذورةٌ للوطنِ الذّى

تُحِبُ للفداءْ

(٨)

أُحِبُكُمْ جَمِيعكمْ

أعيشُ صَبرَ أمهَاتِكمْ

أسكنُ فى سُقوفِ زِنْزانَاتِكُمْ

تَدورُ رُوحى حولكُمْ

فى صَحْوِكُمْ، وفى مَنَامِكُمْ

(٩)

أحْبَبْتُمو أنتمْ «فلسطينَ»

كَما أحْببْتُها

افتَدَيْتُمو «لُبنانَ»

مِثْلما افتَدَيتُها

فَكُلُ كلمةٍ نطقتمو

بها وَعَيتُها

حَملتُها يَرِنُ فى أذُنى

أينَما أكونُ صَوتُها

(١٠)

يُسْعِدنى صُمودُكمْ

هذا الّذى قَدْ أعجزَ الظّلاَّمْ

سِيرتكمْ أحملُها معى

فى الصدر كالوِسَامْ

أحكى ولا أملُّ

فالحديثُ عنكمو

يطولُ يَعْذبُ الكَلامْ

(١١)

تقولُ أُم إسماعيل

الأشرفُ الأحبُ لى

أبنائى الشهداءْ

والأشرفُ الأحبُ لى

أبنائى السُّجناءْ

مَنْ آثروا الجهادَ، والفداءْ

على قصورِ البذخِ، والثَّراءْ

فَهَؤلاءْ

لا يُنَافِقُون أو يُسَاوِمَونَ

أو يَلبسونَ جُبة الرِّياءْ

لأنهمْ أنقى مِنَ النَّقَاءْ

(١٢)

فى كُلِّ رحلةِ

لأمِ إسماعيلَ

تَنْهَضُ السّفُوحُ، والجِبَالْ

وَفَوقَها أسرابُ مِنْ عَنَادِلِ

تَشْدو لها، وتُطلقُ المَوّالْ

المجدُ للرجالْ

المجد للأبطال

فى لَيْلِهمْ فى سِجْنِهمْ

فى قَسْوةِ الأغلالْ

يُخَبِّئونَ فى صَدورهمْ

تَفَجّرَ اللظى، وثَورةَ الزِلْزالْ

القاهرة ١٩٩٧

رسالة إلى المبعدين

[كما أعراف الصنوبر وأكمام الياسمين، حملتهم رياحُ السموم، ودفعت بهم إلى البعيد عن الوطن.. ولكنهم هتفوا.. عائدون]

(١)

مـــاذا أقـــولُ لكمْ؟ وأعـــتـــذرُ وأنا المســـافــرُ، هَدَّني السَّـفَــرُ

خــجــلانُ، مــا عندى سِــوىَ قلمى وَمَـشَـاعـرِى، بالهمِ، تَسْـتَـعِـرُ

ألآنَ جُـنـديًا بمـدْفَـــــعِــــــه مُـتَـرَبِصٌ، لصِـغَـارِكمْ حَـذِرُ

يرمـــيــهـمُ غــدرًا ويرعَـــبـــهمْ وسـلاحُـهمْ فى وَجْـهِـه حَـجَـرُ

والإحــتـــلالُ تطاولتْ وَقَــسَـتْ ليـــلاتُه، واشـتــدتْ الغـيَــرُ

فى وجـــهــه أنتمْ، وغـــايتُكمْ أن يمحـى عـنـكـمْ ويَـنْـدثـرُ

كُلُّ الشَّــرائعِ فى وثائقـــهـــا أن يَنْتَـــهي هذا وَيَنْحَـــسِـــرُ

(٢)

أوَ تبـــعـــدونَ لأن غـــاصَـــبكمْ فى وجـــهـــه تَتَـدافعُ الزُّمَــرُ؟

أوَ تبـــعـــدونَ لأنَ غـــايَتَكمْ الحقُ والإيمـانُ والـظَّـفَــــرُ؟

أوَ تبـــعـــدوُن لأن إخــوتكمْ شُـدُّوا باغــلال الأذى أسـروا؟

فى التلفــزات تجىءُ صــورتُكمْ والـثَّـلـجُ لـيسَ يـكـفُ والمـطَـرُ

الثلجُ يهـــمى فـــوقكمْ وعلى خــيـــمـــاتكمْ يتكدَّسُ الكَدَرُ

وتكبِّـــرونَ، يجيءُ صـــوتُكمُ بالصَّــبـرِ والإيمان ينفــجــرُ

(٣)

هَذِى الوُجـوهُ نَكَادُ نَعْـرِفُـهـا … أيامَ، كَـبَّـرَ عـاليَـا عُـمَـرُ

وكـأنما من كَـبَّـروا بعـثـوا … فى وجهِ منْ بحقـوقهمْ كَفَـرُوا

وكـأنما الشُّـهداءُ، قـد نهـضـوا … مـاذا أُعـدِدُ، إنهمْ كُـثُـرُ

وكـأنما عـادتْ مُـجلجلةً … أفـواجُـهم بالحقِ تَـأتزرُ

هذى الوجـوهُ تَجِيءُ ثانيـةً … فَـتُنَوِّرُ الدُّنيـا وتنبـهـرُ

للهِ فـوقَ الثَّلجِ سـجـدتهمْ … تَحتَ السمـاءِ تَهـزُ من نَكَروا

متـمرسونَ على الصُّمودِ فـمـا … فى صـفـهمْ خـوفٌ ولا خَـوَرُ

(٤)

تـلكَ المناديلُ التى ارتفـعـتْ … يومَ الوداعِ، مَـشَـاعِلٌ حُـمُـرُ

من خلفكمْ أطفـالُ مـا فـتـئـوا … للانتـفـاضـةِ عَـسكَرٌ مُـجُـرُ

فى التلفـزاتِ تجىءُ صـورتهمْ … لتـقـولَ للموتى، ألا انتـشـروا

إنا حـملنا فـوقَ طاقـتنا … وصـمـتـمو وتكلمَ الحَـجَـرُ

فى التَلْفَـزاتِ نسـاؤكمْ صـرختْ … «الله أكـبـر» أينَ من نَصَـروا

بل أينَ مـعـتـصـمٌ، ونخـوتُهُ … لا قـيس فى السَّـاحـاتِ لا مُـضَـرُ

(٥)

مـا عـادَ فى الميدانِ من أحـدِ … خَلَتْ الدِّيارُ، وُغـيِّبَ القَـمَـرُ

أينَ الرجـالُ، وأينَ نخـوتُهمْ … أيْنَ العـواصمُ إنهـا كُـثُـرُ؟

أو ليسَ أهلونا وأخـوتنـا … من يقـتلونَ، وتُذبح الأسـرُ؟

أو ليس من حق لمن صمدوا تحتَ الحصارِ ومن له صبروا
أن يصرخوا، حتى إذا ذُبحوا أنْ يَنفروا حتى وإن قهُروا؟
أيُحَاكِمُ المقتولَ قاتلُهُ ويُبرَّأَ الجَاني، ويَنْتَصِرُ؟
في أي عصر نحنُ أيُّ يد هَذي التي تُملىَ وتُقتَدِرُ؟
هذي التي للظلمِ جانحةٌ والعدلُ مَغْلوبٌ ومُنْكَسِرُ

(٦)

تلكَ المناديلُ التي ارتفعتْ راياتُ فوقَ الشَّمسِ تَنْتَشِرُ
يومُ الوداعِ وكُلٌّ جارحةً في الأرضِ تصرخُ ذلَ من أمَروا
أو تبعدونَ.. لأنها صدقتْ أهدافكمْ في وجهِ مَنَ غَدَروا؟
ما رملةٌ الا وتَعْرِفُكُمْ فيها ومنها: منكمُ أثَرُ
يترعرعُ الزيتونُ من دمكمْ ويُنَوِّرُ الليمونُ يَزْدَهِرُ
تَرنو لعودتكمْ على لهفٍ الدّوُر والسَّاحاتُ والشَّجَرُ

(٧)

أتَنَامُ، كيفَ تنامُ أعيونُنَا وعيونُكمْ قَدْ مَسَّها الضَّرَرُ
مفتوحةٌ في اللَّيلِ شاخصةٌ مذهولةٌ تشجي وتُغْتَصَرُ
أننامُ والخيماتُ عاريةٌ في الرِّيح لا دفءٌ ولا سُتُرُ
ما ساعةٌ إلا ويُرعبنا هذا الذَّي تأتي بهِ الصُّوَرُ
أهلوكم للهِ درهمو ماذا وكيفَ عليكمُ صَبَروا

(٨)

أطفالكمْ، ونساؤكمْ حملوا عبءَ الأمانةِ خُلَّصًا نفَرَوا

قـــالوا، علـى اسم الله خَطوتُنا   تَتَـــــلاحقُ الأهـداف والفِكَرُ
مـــا هـالَهـمْ أن الـدُّنى نَكَرتْ   آمـــالَهـمْ، وتنكَّر البَـــشَــرُ
مـــا هالهَم أن العــروبةَ نُكِّسَتْ   راياتُهـــا وأصنـــابهـــا الخَــدَرُ
همْ فى الحـصارِ على عـهـودهمو   مـــا هَدَّهُمْ جـوعٌ ولا غِـيَـــرُ
ظلوا على الحقِ الذَّى حـــملوا   وتَجـــرعـــوا الآلام واصطبـــروا

(٩)

الدَّعمُ أينَ واينهـــــا قِـــمَمٌ   تَتْـــرى، ومُــــؤتمرٌ، ومـــؤتمرُ
أيـنَ الخـطـابـاتِ الـتـى هَـدَرَتْ   أينَ البِـــيــانات التى ذَكَـــروا
اين القــــرارات التى سُطِرتْ   لمْ يبقَ منهـــا بعضُ مـــا سَطَروا
ضـــاعت كـــأنَّ الريحَ تَنْثُـــرها   بِدَدا فـــلا يبـــقى لهـــا أثَرُ
قـالوا انتـفـاضـتكمْ مـبـاركـةٌ   وأعـــزُ مـــا جـــادتْ به العُــصُـــرُ
وتُرِكْـتُـمـو للجـوعِ يَنْهَـشكمْ   مــــجنونُ، لا يُبـــقى ولا يَذَرُ

(١٠)

يأتى الحـــصـــارُ تلاحـــقًـــا وعلى   أبيـــــاتكمْ، يتكاثرُ النَّفَـــــرُ
حتى الشعـوب، القمعُ أخرسَـهـا   وأحـــالهـــا، بكاءَ تَنْحَـــدرُ
مـــا عندها حــــتى ولا قلمٌ   يَروى حكاياكمْ ولا خَـــبَـــرُ
أمـا الصـحـافـةُ فـهى عـاجـزةٌ   مـــغلولةٌ، بكمـــاءُ تَحْـتَـضِــرُ

(١١)

مـــاذا أقـــولُ لكمْ وبى لهفٌ   للقــــائكمْ، والقلبُ ينفطرُ

فى الانتظارِ، تظلُّ أرضكمُ   مهما نأيتُمْ إنها القَدَرُ

ولسوفَ تبقى «عائدونَ» وإن   طُمِسَتْ كَهَدْرِ الرَّعْد تنفجرُ

غنوا بها، واللهُ ناصرُكم   وتدرعوا بالحِق وأتزروا

لا ترجعوا إلا لموطنكمْ   فدُروبُهُ الخضراءُ تنتظرُ

القاهرة ١٩٩٣

صرخة إلى السماء

[تنادى وزراء الخارجية العرب لاجتماع
طارىء من أجل المبعدين]

(١)

المُبْعَدُونَ، تَحَرُّقٌ وتَطَلُّعُ
نَحْوَ الألى، شَدوا الرِّحالَ وجُمِّعُوا
همْ فى انتظار، للقرارات التى
مَنَ أجلِ عَودَتِهِم تُسَنُّ وتُشْرعُ
عَينى على الوزراء طالَ نقَاشُهم
والليلُ طالَ بهمْ، وطالَ المَجْمَعُ
حتى، وإنَّ، وكيفَ، فى قاموسهمْ
كلمات فى أخذ وردٍ تُوضع
لتجىءَ، أقوالاً يكَرِّرُ ذكرُها
يُجلى بها وجهُ البيانِ ويلمعُ
لجأوا إلى شَرْعية دولية
سُنَّتْ فَيُضربُ من تشاء ويُقْمَعُ
ويطالبونَ، وليس من يدرى بهمْ
فى مجلس الأمن العتيدِ ويُسْمَعُ
هو للعدو مكرسٌ ومهيأٌ
فَيَسِنُ، ما شاءَ العدو ويُشْرعُ
ما مرةً ألقى بثقل جهوده
للحق يعلى شأنه ويُمَنِّعُ

كلُّ القرارات التي في درجه	خُبِّئَتْ تعطلُ عنده وتَصَدَّعُ
من مجلس الأمن العتيد تواليًا	تأتي القراراتُ التي لا تَنْفَعُ
هي لُهيةٌ، يلهو بها شيطانُه	لنظل في أحوالنا نَتَقَوْقَعُ
يدُه تطولُ ترابَنا وسماءنا	وعدُونا في خيرنا يتَمَتَّعُ
يُحْمَى بأسلحة الدَّمار جميعها	ونُصَدُّ عَنْ حق الدِّفاعِ ونُمْنَعُ
ما شاءَ يُلجِمُنا كأنا عندهُ	خيلٌ تشَدُّ كما يشاءُ وتخْضَعُ
هم يُنكِرونَ شعوبنا حتى إذا	صرختْ، فإنَّ صُراخَها لا يُسمعُ
الطائراتُ حَوَاشِدٌ في أرضِنَا	فَتَدكُّنَا أنى تَشَاءُ وتَقْمَعُ
وبحورُنا فيها يجوبُ عدونا	يُحصي علينا ما نَقُولُ ونَصْنَعُ
آلافُ راداراته مِنْ فَوقنا	مِن تحتنا في كُلِّ ركنٍ تَقْبَعُ
والصَّمْتُ في كُلِّ الدِّيار كأنَّهُ	ليلٌ طويلٌ فوقنا يَتَرَبعُ

لا نـأمـــــةٌ، لا نـســـــمـــــةٌ لا كـلـمــــةٌ

لا أي شــيء عــنـدنــا يُـتـَــــــــوَقّــعُ

(٢)

والمُبْـــــعَـــــدُونَ هـنـاكَ فـي أحــــزانـهـمْ

خُــــذلوا، فــــمـــا جـــاءَ القــــرارُ المُقْـنِـعُ

حــــربـانِ، حــــربٌ لـلـعــــدو شـــــديدةٌ

ومن الطبـــيـــعــــة هـجــمـــــةٌ تَـتَـــدفَّـعُ

الـثـلجُ والمـطـرُ الـغــــزيـرُ، ولـفــــحــــةٌ

لـلْـبَـــرد فـي خـــيـــمـــاتـهـم تَـتَـــوزّعُ

والجـــوعُ، والـظَمـــأ المـريـعُ، وقـســـوةُ

الآلام، والأرضُ الـعــــــــراءُ الـبَـلْـقَـعُ

ويُقـــالُ ان شُـــعُـــوبَـنَـا مَـــعْـنـيَـــةٌ

بـهــم، لأجـلـهـم تـهـبُّ وتُـســــــرعُ

ويـظَـلُ حـــالُـهـمُ، كـــمـــا هــو لا يـدٌ

تـأسـو، ولا عـيـنٌ لـهـم تـتَـطـلَّـعُ

مـــا عندهـمْ، إلا انـتـــفـاضـــةُ شـعــبـهـمْ

فـي كـلّ يومٍ، بـاســـمــــهــمْ تَـتَـــوجَـعُ

(٣)

يــاقَـــــــومَـنَــا فــي كُــلّ أرض إنَــنـي

آت الـيـكـمْ، لـهـــفـــةً اتَـضَـــرَّعُ

إنـى لأسْــــألـكـمْ، بـحـقِ كـــتـــابـكـم

يُـتـلـى، وآيـاتٍ تُـنـيــــرُ وتـسْـطَـعُ

هل حقُّ اسرائيلَ أن تلهو بكمُ
وتظلُّ في غلوائها تَتَمتعُ
ماذا تُرى قلتم لها، وهي التي
في كلِّ يوم، غزوها يتوسعُ
أو ليس لبنانٌ، تَرى من أرضكمْ ؟
فعلامَ يُتْرك وحدَه يتلوَّعُ ؟
أو ليستْ الجُولانُ بعض دياركمْ ؟
أو ما لكمْ فيها أذانٌ يرفعُ ؟
أو ليستْ القدسُ الشريفُ مدينةُ
الرحمن، شيدها السُّجُودُ الرُكَّعُ
أو ليس، للإسراءِ في أذهانكمْ
ذكرٌ يحرككمْ، وأمرٌ يُدْفَعْ
ماذا أقولُ لكمْ، وما في جعبتي
عنكمْ، كثيرٌ، لا يُقالُ ويُسمعُ
ما عادَ عندي، ما أباهي باسمكمْ
ضُيِّعتُ، واأسفاهُ فيمن ضُيِّعوا
متناحرونَ فكُلَّ يوم قصةٌ
عنكم لها يَندى الجبينُ ويُصْفَعُ
تتجمعونَ فيفرحُ الوطن الذي
انتم لهُ، واليكمُ يتطلعُ
ونَظَلُّ في احزاننا، وعذابنا
ونظل مِن كأس الأسى نَتَجَرَّعُ

(٤)

هو حالنا هذا وتلك حُدودنا
أصفارُ لا تُحصى، ولَيْسَتْ تُجْمَعُ
إنا نُباهى عِنْدَنَا ثرواتنا
وجيوشُنا وحُشُودُنا، والموقعُ
مُتَفَرِقُونَ، ولا سبيلَ لجَمْعِنا
مُتَقَاتِلونَ، وكلّ يوم نُصْرَعُ
هَذا على هَذا، ومَا مِنْ واحد
مِنَّا يقولُ كَفى، ولا يَتَرَفَعُ
هل بَعْدَ إسرائيل شيءٌ آخرٌ
في العالم العربى، بَعْدُ يُبَرْطِعُ ؟
الطائراتُ تجوبُ فى أجوائنا
أنَّى تشاءُ، كما تشاءُ تُلعلعُ
تَرمي الدَّمَارَ لأنها شَرْعيةٌ
شُرعتْ لنا، وبها نُصَدُّ ونُمنَعُ
من قالَ ان سماءَنا ليستْ لنا
في أيّ شرع لا نَردُّ ونَرْدَعُ
هى شِرْعَةٌ دوليةٌ للمعتدي
يرمى بها أوطاننا ويُروِّعُ
ما ذنبهمْ من أبْعدوا أو عُذِّبوا
ما ذنبُ مَن ذاقوا الحصارَ وجُوِّعوا

مـــــا ذنـبُ مَـــرْضــــاكُـمْ، يـظـلُّ دواؤهــم
عـنـهـمْ، بـعــــيــــــداً لا يُـطـالُ ويـنـفـعُ؟
أهـنـاك انـســـانـيــــةٌ غـــيــــرَ الـتـى
تُـحـــمـى، بـزحـف جــيـــوشــــهـم وتُـدَرّعُ؟
أو لـســـتـــمـــو بـشــراً الـيـسَ صــغـــاركُـمْ
اطـفـــال، مـــثـل صـــغـــارهـم تَـتَـلَّـوعُ؟
عـــادَ الـصـلـيــبـيــونَ، ان حـــشـــودهـمْ
مـن كـلِّ انـحـــاء الـدُّنـى تَـتَـــجـــمـعُ
هـى حـــمـلـةٌ أخـــرى، تـدقُ بـعُـنْـفــــهـــا
أبـوابَـنَـا لـيــــلاً نـهــــاراً تَـقْـــرَعُ
نَـصْـــحُـــوا نـنـامُ عـلـى هـديـر حُـــشُـــودهـا
فـى كُـلِّ أرض خُـــــولـنـا تَـتَــــوزّعُ
تَـخـــتــــارُ أسْـبَـــابًـا، وتُـخْــفـي غَــيْــرَهـا
ويـأيـا سَـــبَـبِ لـهــــا تَـتَـــــذَرّعُ
وَنَـظَـلُّ نـحـلـم أن نُـحَـــقـقَ وحـــــدةً
كُـــبـــرى، ونَـركـنُ لـلـخــمـــولِ ونـهـــجـعُ
ونـغـطُ فـى أحــــلامـنـا، وأمــــامَـنـا
الـدُّنـيـــا، تُـحَـــقـقُ مـــا تَـشَـــاءُ وتَـصْـنَـعُ
يـا إخــــوتـى مَـــــرجُ الـزهـور مـنـورٌ
بـكـمُ بـنـفـح اريـجـكـمْ يـتــــضـــــوعُ
لـو يـســتـطـيـعُ لـصــاغ مـن اســـمــائـكـم
درراً تـنـورُ فـى الـســـمـــاءِ وتـسـطـعُ

عُمري الذّي قضّيته متفائلاً

أشدو بآمالي الكبار وأبْدعُ

تنجابُ عن عَينَيَّ مثلَ غشَاوة

أحلى الأمانيُّ العِذَابُ وتُنْزَعُ

ماذا سَيُتْركُ للآلى من بعدنا

يأتون، تاريخٌ اليمٌ موجِعُ

يا إخوتى هذا أنا أبلغتُ منْ

عُمري الذّي أبْلغتُ لا أتَزَعْزَعُ

قَاتَلْتُ بالقلم الجرىءِ وخضتها

شتى المعارك صامدًا لا أرجعُ

واليومَ ذا عُمُرى، وهذى أمتى

ماذا أقولُ لها وماذا أسمعُ ؟

يا ربُ هذى أمتى ذا حالُها

فاليكَ وحدك شعبُنا يَتطلّعُ

تونس ١٩٩٣

قصائد الانتفاضة

قصيدة للانتفاضة

[فى فلسطين إرتفعت شعلة الانتفاضة المباركة قبسا من نور يهدى المدلجين إلى فجر الحرية والنصر...!!]

(١)

لنْ يكْسِروا شوكةَ الشعب الَّذى وثَبا ... ولن يطأطئَ رأسٌ، طاول الشُّهُبا

هَذى فلسطينُ، والتاريخُ يعرفُها ... فكمْ على أرضها، كَمْ شَبَّ وانتْصَبَا

فَرَمْلَةٌ منْ ثَرَاها، لا تُعادلُها ... خزائنُ الكون، لا مالاً، ولا ذَهَبَا

تعطرتْ بدَمِ الأحرارِ تُربتُها ... وُضُمِّختْ بشَذى أذيالهمْ، حِقَبَا

أنَّى تلفَتَّ، فالآثارُ خالدةٌ ... تمدُّ أعرافَها، جاهًا لنا، حَسَبا

فى كُلِّ منُحْدرٍ، أو كُلِّ مُرتَفَعٍ ... تَساميًا تنْشرُ الأعلامَ، والطُّنُبا

(٢)

الانتفاضةُ، إعصارٌ، وعاصفةٌ ... وَهبةٌ، أشعلتْ فى أرضنَا اللَّهبَا

أتت، إلى الغَاصبِ المُحتلِ تُوقظُهُ ... على هديرٍ، على أبوابه اصْطَخَبَا

«اللهُ أكبرُ»، يومَ الهول رَدَّدَها ... أبطالُها الغُرُّ، كانوا باسمها الخُطبا

قدْ لَعْلعتْ فهديرُ الموجِ أرسلها ... تَلاحقًا، تُعلنُ الإرزامَ، والصَّخبَا

منْ شاطئِ الشّوق، حيثُ العائدونَ به ... فى الانتظارِ، إلى الفجرِ الَّذى اقتَربَا

أطَالَ ليلٌ . . ؟ وكمْ ليلٍ علَى وَطنى تطاولاً حَطَّ حـتى زالَ واحـتـجَـبَـا

(٣)

الانتـفَـاضَـةُ، زلْزَالٌ، وملحــمـةٌ وثورةٌ، تتَحدى، الجيشَ، والغُـرَبَا
أتتْ كما الفجرِ، من أعماقِ داجيةٍ سوداءَ، تبتكرُ التَّصميمَ، والغضبا
تحركتْ فى الحَنايا، حينَ عاصفُها يصُبُّ جام اللّظى، مُستنْسداً لجَبَا
يمْتدُّ منْ غزةَ الشمَّاء لاهبُهَا للقدس مُنْدفعًا فيها، ومُنْسربَا
وتعتلى فى جبالِ النَّارِ شُعْلتُها تعيدُ فيها زمانًا رائعًا خَصِبَا
لنا . . لنا الأرضُ، آمالٌ مقدسةٌ على ثَراها نثرْنَا الجُرْحَ مُنسكَبَا

(٤)

من شاطئ البحرِ، حتى النهر موطنُنا وسائلوا التِّينَ، والزَّيتون، والعنَبَا
وسائلوا المسجدَ الأقصى، وقُبتَهُ ومهدَ عيسى، ومنْ صلى ومنْ خطَبَا
من غيرُنا، فى مدى التاريخِ وَقفَتُهُ تردُّ عنهُ الأذى، والحقدَ، والنُّوبا
ومنْ سِوانا تحَدَّى الزاحفينَ إلى أرضِ السَّلامِ، ومنذا غيرُنا، صَلُبا
من عَهْدِ كنعان، والفاروق باقيةٌ آثارُنا خالداتٌ، تملأُ الكُتُبَا

(٥)

قُلنا فلسطينُ . . فاهتزتْ جَوانحُنَا منَ الحنينِ، . . وشَبَّ الشُّوقُ والتهَبا
آباؤنا، فى ثَرى أقداسِها جُبلوا وكَنْ نخُونَ ترابًا، بالدَّمِ اخْتضبا
إنَّا حَملْنَا، على أكتافنا زَمناً عبءَ القضيةِ، لمْ نُنكرْ لها طَلَبَا

ظلتْ فلسطينُ، وَشْمًا فى مَفارِقنا نقشًا على القلبِ، فى العينينِ قدْ صُلبا

لم نَخْتَبِيءْ، خَلْفَ رمزٍ لا يُفسِّرُنا ولا خَبَأنا اسمها، فى كُلِّ ما كُتبَا

ولا جَعَلنا فلسطيناً مُغلفةً بين السُّطورِ، تُعانى الجُهدَ والتَعبَا

مُنوَّرٌ إسمها فى كُلِّ ما سَطَرتْ أقلامُنا تنشرُ الأقمارَ والشُّهُبَا

نادتْ بنا، . . وصغيرًا كانَ فارسُها تقدمَ الصفَّ، يمضى، شامخًا طَرِبَا

يرمى الحجارةَ، شَلالاً يواجههمْ لا يعرفُ الخوفَ، لا يستمرئُ الهَربَا

يضىءُ فى حُلكةِ الظَّلماءِ شمْعتَهُ تحديًا يَقْحَمُ الأستارَ والحُجُبَا

وكُلَّمَا لألأتْ فى الأفقِ بارقةٌ تطاولاً مَدَّ كَفَيْهِ لها وثَبَا

طفلٌ نعمْ، واقرأوا فى سِفرِ ثورته مَنْ مِثْلهُ شُدَّ نحوَ الموتِ وانجذبا

أعيى عتاولةَ الإرهابِ أعجزهمْ وعارىَ الصدرِ لاقى حشدهمْ، ضَرَبا

(٦)

هذا الصّغيرُ الَّذى اغتليتْ طفولتُهُ ماذاقَ فى عمرِه لهواً، ولا لَعِبًا

ولا استراحَ إلى صدرٍ يُهدْهِدُه كما الصِّغارِ، ولا غنى، ولا طَربَا

لفَ الجناحَ، على جرحٍ يُعَذِّبُهُ وآثرَ الصَّمتَ محزونًا، وما عَتبَا

فَأمَّةٌ هو منها ، ليس يُنكرُها لأنهُ باسمِها، قدْ فَجَّرَ الغَضَبا

يواصلُ البذلَ، مشدودًا لغايتهِ ما كَلَّ فى ساحةِ للبَذْلِ، أو تَعبًا

يَدرى بأنَّ الّذى فى كفهِ حجرٌ يواجهُ الغادرَ الغازى، ومَا جُلبا

(٧)

هذا الصَّغيرُ، عظيمٌ فى انتفاضته — اختـارَ من رائعِ الغَايات ما صَعُبَا

هيـهـات تَسْطيعُ، أجنادٌ مُـدَرَّعَـةٌ — أن تقـهـرَ الحقَّ، أو أن تَقْـبُـرَ الأربا

فـالانتـفـاضـةُ، تبـقى فى تُوهـجـهـا — حـتى تُحـقـقَ منْهـا النَّصْـرَ والغَلَبـا

حـتى تعـيـدَ، أمـانينا التى سُلبتْ — حـتى تردَ الذى قـد ضَاعَ واغْـتـصُبَـا

مُـبَـشّـرٌ بصـبَـاح النَّصـرِ فـارسُـهـا — واللهُ ينصـرُ من لَبى، ومَنْ طَلَبَـا

تونس: ١٩٨٨

الشبل الصغير

[قيلت في الاحتفال الكبير، الذي أقامه التجمع الدستوري الديمقراطي بتونس ومنظمة التحرير الفلسطينية احتفالا بذكرى يوم الأرض]

(١)

صَغيري . . أيها الشِّبلُ الصَّغيرُ
ويا مَنْ فِعْلُهُ . . فِعلٌ كبيرُ
وُلِدْتَ إذ الليالي حالكاتٌ
فلا نجمٌ يلوحُ، ولا بَشيرُ
ولا صَدْرٌ تَلوذُ إلى حِمَاهُ
ولا بيتٌ حَوَاكَ ولا سَريرُ
رأيتَ بأمِّ عينيكَ أيَّ ظُلمٍ
يُحُوطُكَ لا يُزَحْزَحُ أو يَغُورُ
أبوكَ مُطاردٌ مِنْ غيرِ ذَنْبٍ
وأُمُّك في مَآسيها تَحِيرُ
وفي سِجْنٍ شَقِيقُكَ لا تَراهُ
وراءَ اللّيلِ مُعْتَقَلٌ أسِيرُ
وَتَنْمو والأسى طُولاً وعَرضًا
وفي الأحزانِ تُغْرِقُكَ البُحُورُ

يَطُولُ الإحتلالُ ولا مُغِيثٌ
مِنَ الوَطَنِ الكَبِيرِ ولا مُجِيرُ

(٢)

وأقدامُ الفِداءِ مُكَبَّلاتٌ
يُحَاصِرُها، المُراوِغُ والأجِيرُ
إذا عَبَرتْ اليكَ فألفُ واشٍ
يُنَدِّدُ، أو يُفَنِّدُ أو يَثُورُ
يَقُول الأبرياءُ هُمُو إذا مَا
دَعَاكَ الثَّأرُ أو ضَجَ النَّفِيرُ
صِغَارُ هُمو، وَنِسْوتُهم عليهِمْ
يَطُولُ النَّدبُ والحُزنُ المُثِيرُ
وتَخْرُجُ مِنْ مَكَامِنِها الأفَاعى
تَفَحُ بِسُمِّها حِقْداً تَفُورُ

(٣)

نُسَائلهمْ، مَنْ إجتَرأوا عَلينا
وراحَ نَقِيقُ حِقدهمو يَمُورُ
ألِلإنسانِ عِندهَمو حُقُوقٌ
ويَعْمى عَنْ مآسِينا الضَّمَيْرُ

أيأتي مِنْ أقاصي الأرضِ قَوْمٌ
تُقَامُ عَمَائرٌ لَهُمو ودُورُ
ويُطرَدُ أهْلُنَا ظُلْماً وقَهْراً
وللتشريد يُسْلِمُنا النَّذيرُ
وتلكَ الأرضُ كَمْ شَرِبَتْ دمَانا
وتَشْهدُ في تَواليها العُصورُ
بأنّا لَمْ نَهُنْ يومًا وأنّا
لَها نَحْنُ العَطايا والنُّذُورُ

(٤)

تُحاصَرُ الانتفاضةُ وهي منْهُمْ
لَهُمْ، ويُحاصَرُ الشَّعبُ الجَسُورُ
وفي أخبارِهمْ تأتي اقْتِضَاباً
وَفي الأقْمارِ يَنْقُلها الأثيرُ
يُحَدِّثُ عَنْ بُطولَتِها ويَروي
حَكاياها، سَفِيرٌ أو وزيرُ
ويَرْجُمُها ويُخْذِلُها أُناسٌ
أذلاءٌ، ويَشْنُوها حَقِيرُ
يَشُكِّكُ في تَواصُلِها ويَهذي
ويأخُذُهُ التَّطاوُلُ والغُرُورُ

فَـيَـسْـألُ كَـيفَ هَلْ حَـجَـرٌ يُلاقى

الجَـحَـافلَ، وَهى عَـارمـةٌ تُـغِـيْـرُ

وَيَعْـجَبُ كَـيْفَ تَنْدَفِعُ الصَّـبَـايا

وكَـيْفَ تَـهبُّ لـلـثـأرِ الخُـدور

وكـيفَ يواجِـهُ الأطفـالُ جـيـشًـا

تدرَّعَ، كـيفَ يَلتَـهِبُ الشُّـعُـورُ

حَـديثُ الانتـفـاضـة فـوقَ هذا

تَطُولُ بِه الصَّـحـائفُ والسُّطورُ

ولا يـدريـهِ إلا مـن وعـاهُ

ومن عـاناهُ يـعـرفُ مـا يَدورُ

هـنا فى تـونسِ الخـضـراءَ مـنا

لنا شَـعبٌ بِهـمَّـتـهِ كَـبِـيْـرُ

نـزلـنـاهـا، وقـد ضـاقتْ ديـارٌ

بثـورتنا، وقـد ضـاقتْ ثُغـورُ

فـكـانـوا الأهـل والأنـصـارَ حـبـاً

تـلـقـتـنـا، الجـوانحُ والـصـدورُ

سنحـفظُ تونسَ الخـضـراء عـهـداً

عـلينا، إنه الـعـهـدُ الأثـيـرُ

سنذكـرهُ غـداةَ الـنـصـرِ يـومًـا

يُخلِّدُ ذكـرَهُ الشَّـعبُ الغَـيـورُ

فنحنُ، وأنتِ أدرى بالضحايا

إذا ما الشعبُ حاصرهُ المُغيرُ

ويومُ الشطِ لن يُنسى وإنا

معاً في درب ثورتنا نسيرُ

يُعيدُ لسيدي يوسفَ ذكريات

خوالدَ، ليسَ تنساها الدُّهورُ

هو الشُّعبُ المُساندُ والمُضحي

تجذَّرَ فيه، والتحمَ المُصيرُ

كذا تَبْقى العُروبةُ لا هراءٌ

تردده المحافلُ والقُصُورُ

هي الدَّمُ في العروقِ وفي الحنايا

وفي الميدانِ زلزالٌ جَهيْرُ

لنا لا غيرُنا، الوطنُ المرَّجى،

جبالٌ أو رمالٌ، أو صخورُ

ومن رفح إلى صفد ندانا

يظَلُ مجلجلاً عالٍ يَمُورُ

وتبقى الإنتفاضة في لظاها

إلى أن يشرق الفجرُ المنيرُ

تونس ١٩٨٨

وقصائد لِغــزَّة

« غـزة..المحاصـرة »

[ليس جـديداً حـصـار المدنيـة العظيـمـة غـزة،
فكم حـاصـرها الغـزاه عـبـر التـاريخ..!!
وكم إرتدوا عنهـا خـائبين]

(١)

تُحَاصَرُ، لَيَس يُرْهِبُها الحِصَارُ ولا القَصْفُ المُروّعُ والدَّمَارُ
فَغَزَةُ، قلعةٌ، صَمَدَتْ طويلاً وتَصْمدُ لا يُفَزِّعُها العِثَارُ
سنينٌ، وهى عنوانُ التَّحدى لَها فى وجه غَازيها اقتدارُ
لها وَقَفَاتُها، زَمَنًا طويلاً تصدُّ المعتدينَ إذا أغاروا
تواجههمْ ومَا فيها جبالٌ لتحميها ومَا فيها جدَارُ
وليسَ تخافُ والضَّرباتُ تأتى على أبياتها، وَتشُبُّ نارُ
لها السَّيفُ المُجَلّى لا تُبالي بما حَشَدَ الألداءُ الكِثَارُ
على أبوابها كُسِرَتْ يهوذا وعَنْ أعتابها دُحِرَ التتارُ
لها فى نَجْدَةَ الأوطانِ سَبْقٌ جَرِىءٌ لا يُشَقّ لها غُبارُ
فأهْلُوها على دَرْبِ التَّحدى غضَابًا، فوقَهُ انتفضوا وساروا
لهم فى الجوعِ صبرٌ واحتمالٌ وليسَ لهمْ على الذُّلِ اصْطِبَارُ

(٢)

مـغلَّقَـةٌ، حـدودهمـو عليـهمْ فـلا عـونٌ يجيءُ، ولا اعـتـذارُ

ولا إن طُـوردَ المظـلـومُ مـنـهـمْ يـلاقى بـالحنان، ولاَ يُـجَـارُ

فكَمْ أم بهـا، فـقـدتْ بَنيـهـا فـمـا لَطَمَتْ، ولا شُقَّ الإزارُ

وكَمْ شـيخٍ، عليـه هوتْ عـصىٌّ فـمـا ذُلَّ الشُّـمـوخُ، ولا الوقـارُ

وكَـمْ طفلٍ، بألفٍ منْ رجـال يُلطِّخُ رأسـهمْ خـزيٌ، وعَـارُ

يُـلاقي الـدَّارعـاتِ، ومنْ يديه على الأعـداء، تنهـمـرُ الحـجَـارُ

أطفـلٌ ذاكَ؟ أمْ بطـلٌ جـرىءٌ؟ يحـارُ به الوجـودُ، ولا يَحَـارُ

فَـمنْ رَفَحٍ شَـواظُ النَّار يعلو «لبـيتِ حنونَ»، ينتـشـرُ الأوارُ

فكلُّ مُـعَـسْكَرٍ، جـيشٌ كَـمِيٌّ على أقـداسِ أمَّـتِـه يُـغَـارُ

أشـاعَ اللاجـئـونَ به دَوِيًا لَهُ فى مَـسْـمَعِ الدُّنيَـا دُوَارُ

هو الشَّـعبُ الفـدائىُّ المُـرَجَّى له فى البَـذْلِ سَـبْقٌ واقـتـدارُ

وغــزةُ أينمـا دارتْ عُـيـونٌ فـثـمـةَ ألفُ مـعـركـةٍ تُدارُ

(٣)

وفى «مـرجِ الزهورِ» هناك منهـا رجـالٌ خُلَّصٌ أسْـدٌ خِـيـارُ

على عـهـدِ الوفـاء، وإنْ تناءتْ بـهـمْ أرضٌ وإن بَعُـدتْ ديـارُ

هُـمــو يـدرونَ أن الحقَّ بـاقٍ ومـا لهـمـو عَنِ الحقِّ انحـسَـارُ

أرادوا الصَّعبَ، وانتجعوا طريقًا مُلَغَّـمَـةً، ومـا ضَـعُـفُـوا وخـاروا

هم الأقوى، وإنْ خُذلَتْ نفوسٌ دنيـاتٌ، ولطّخها الشَّنارُ
فَغَزَّتُهمْ، بِهِمْ، تسمو شموخًا وَفَوقَ جَبِيْنها يَعْلُو الفَخَارُ
فما تُلهيهمو، عَمَّا أرادوا مَنَاصِبُ، أو مكاسِبُ، أو عقارُ
كأنهمو الأوائلُ، يومَ جاءوا بدعوتهمْ وفي الدُّنيا أناروا
همو للحسنيين بهم نزوعٌ وطُلاَّب الشَّهادةِ منذ ثاروا

(٤)

فيا وطن العروبة، أين منهم؟ صلاتُكَ، والتفاتُكَ، والحوَارُ
وأينَ تُراهم الأنصارُ، منهمْ وَفِيمَ تَخَلَّفُوا عَنْهمْ وغَاروا
فلا أجنادهمْ، تبدو احتشادًا لنَجْدَهم، ولا يهتز جارُ
وأسيافُ العروبةِ، وهي كُثرٌ مُثَلَّمَةٌ وليس لها شِفَارُ
تَكَسَّحتْ المروءةُ فهي خجلى يُعَطلُها التَّخَلفُ والفرارُ
فَلا مِنْ صَحْوَةٍ منهمْ تُلبى ولا مِنْ نخوةٍ فيهمْ تثارُ
لهم «قممٌ» يحار المرءُ فيها وما فيها لما يجري اعتبارُ
تنادي بالسياسةِ وهي خزيٌ أمامَ المعتدي الباغي، وعارُ
فما تجدي، إذا اختلَّتْ وضلَّتْ موازينٌ وأعْجَزَها القَرارُ
وما نفعُ العقول إذا تساوى لَدَيها مَنْ يُضيْرُ، ومن يُضَارُ
تطاردنا بُغَاثُ الطَّير أنّى نزلنا لا نُحَبُّ، ولا نُجارُ
وتلحونا بأقلام تَدَنَّتْ لَها في كُلِّ مَوبَأةٍ شعارُ

تَهِـيُج كَـمـا دبابيـرِ علينا وتَلْسَـعُنَا، ويُؤذينا السُّـعَـارُ

ضَـمَـائرُها مُـعَطَلةٌ، وفـيْـهـا تَرَبَّعَتْ المذلةُ والصَّـغَـارُ

وغـزةُ فى مَـعَـارِكِـهـا افـتـداءً صَبَاحَ، مسـاءَ، يعلو الإنفـجارُ

فَلَيْسَ تنامُ، والمُحْـتـلُ ظُلمّـا لَهُ فـيـهـا وُجـودٌ وانتـشـارُ

تُضَّحي فى سَبِيلِ النَّصرِ مَـهْـمَا يَضِـيقُ بهـا ويشـتـدُّ الإسـارُ

وتـؤمنُ أنـهُ مـا طَالَ لـيـلٌ بِهـا، إلا وأعـقـبـهُ نهـارُ

القاهرة : ١٩٩٢

غزة لا يغرقها البحرُ..

[تمنى رابينُ لو أنّ البحر يُغرقُ غزة]

(١)

عَروسُ البحرِ، يارابينُ لا يُغرِقُها البَحرُ
ولا يُغرِقُهَا الحِقْدُ الذى تحملُ والشَّرُ
فكمْ أيدٍ كَسَرتَ بها، وما ركَّعَها الكَسرُ
وكمْ أمٍّ بها رَمّلتَ، ما أرهَبَها الغَدْرُ
وكم طفلٍ بها يَتَمْتَ، شَبَّ لواؤهُ الثَّأرُ

(٢)

حِجَارتُها التى ثارتْ بوجهكَ عسكرٌ مُجْرُ
صِغارٌ مِنْ براعِمِها تفح كأنها الجَمْرُ
صغارٌ مثلُ موجِ البحرِ، مادُحروا ولا انجرُّوا
تطأطئُ هامةُ الدُّنيا، لهمْ ويُطأطئُ الكِبْرُ
أعادونا إلى التَّاريخِ، مِنهُ المجدُ والفَخْرُ

(٣)

وغـــزةُ هذه القلعـــةُ مـــا زلزلهـــا القَــهْــرُ
ولا أرهبَـــهـــا هذا الحِـــصَـــارُ الشَّـــائنُ المُرُّ
ولا ذلتْ، ولا هَاَنَتْ ولا اســتــخــذى بهــا نسْــرُ
وليس يبــاعُ فى سُــوقِ النَخــاســةِ عندَها شِــبْــرُ
عــروسُ البــحــرِ، يحـضنهــا النَّدى والضَّــوءُ والعطْرُ

(٤)

لـنـا غـــزةُ ياهـذا، لنا رَبَواتُهَـــا الخُــضْــرُ
لنا الشُّطآنُ والسَّــاحــاتُ، والأشـــجــارُ والزَّهْرُ
لنا زيتُــونهـــا المســروقُ، والجُــمَّــيْــزُ والتَّــمْــرُ
لنا ليـــمـــونُهـــا وكـــرُومـــهـــا وعطاؤها البكْرُ
لنا الشَّــمسُ التى تعلو نواحــيــهـــا لنا البــدْرُ
فكيف البــحــر يُغــرقــهــا ومنهــا الحُبُّ والخــيــرُ
وفــيــهــا يُرفعُ التَّكبــيــرُ عــالٍ، يَنهضُ الذِّكــرُ
ودقــاتُ النَّواقــيسِ العــذابِ كــأنهــا الشِّــعــرُ
مــدينتنا مــقــدســةُ التُّــرَابِ رداؤها الطُّهــرُ

(٥)

لغـــزةَ تخـــشعُ الأمـــواجُ، يَعْنُو المدُّ والجـــزْرُ
ويدري البـــحـــرُ أن لهـــا، وليسَ لغـــيـــرِها الأمـــرُ
تقـــولُ لهُ على الأعـــداء كُـــرَّ، إذا هُـمُـــو كَـــرُّوا
فكمْ مِنْ حـــولـهـــا الأعـــداءُ رُدُّوا ذلةً فـــرُّوا
وكم غـــيَّـــبَـــهمْ مـــوجٌ، وكمْ واراهمُ قَـــبْـــرُ

(٦)

فـــغـــزةُ هاشمٍ هذى، لهـــا من ذِكـــره ذكْـــرُ
عـــروبتُـــهـــا على التـــاريخِ، يَحْـــفَظُ إسـمـــهـــا الدَّهرُ
فـــمن كنعـــانَ حـــتى مُنتـــهى الدُّنيـــا لـهـــا الصَّـــدْرُ
وغـــزةُ فى كـــتـــابِ المجـدِ، خَلَّدَ إسـمَـــهـــا عَـمْـــرو
حُـــمـــاةُ الدّار أهلوُها، بهـــا ولأجلـهـــا قَـــرُّوا
عـــمـــاليقٌ فـــوراسُـــهـــا، أباةٌ عَـــسْكرٌ كُـــثْـــرُ
فـــمـــا خُلعـــوا ولا ركـــعـــوا ولا أعـــيـــاهمُ الصَّـــبْـــرُ
مـــيـــامينٌ لهم فى الحـــربِ، إمـــا لوَحتْ قَـــدْرُ
وليسَ لناكصٍ عنهـــا إذا مـــا دُوهمتْ عُـــذْرُ

(٧)

تقـولُ البـحـرُ يُغـرِقُـهـا، وتحلمُ لو بهـا يَذروا
ومنهـا يهـدرُ الزّلزالُ فـيـهـا يُجـمعُ الحـشـرُ
لأن مـدينةَ الأبطال لا يَهْنَى بِهَـا الغَـيْـرُ
فَـمنْ «شـمـشـون» حـتى أنتَ، حـتى ينتـهى العُـمْـرُ
تظلُّ عـصـيـةٌ غـزةُ، يبـقى شـعـبُـهـا الحـرُّ
يؤرق أعينَ الأعـداء لفحُ صـمـودها الـمُـرُّ

(٨)

هنا غـزةُ، يعلو صـوتُهـا، يتـفـجـرُ النَّبْـرُ
بأنَ لنا وليسَ لكمْ، بـهـا يتنفسُ الفَـجـرُ
وإن لنا وليسَ لكمْ، بـهـا يتـحـقـقُ النَّصـرُ
يقـولُ صِـغـارُها البُـسـلاء يعلو ينهضُ الجـهـرُ
عـروسُ البـحـرِ يارابينُ، لا يُغْـرِقـهـا البَـحْـرُ

القاهرة : ١٩٩٢

عودة الغائب

[.. في أحضان غزة - بعد غياب سبعة وعشرين عاما]

(١)

أتيتُ غَزَّةَ، طيراً شارداً تَعِبَا
قَضَى سنينًا طَرِيدَ الدَّارِ مُغْتَرِبا
مُجرَّحَ القَلْبِ، مَكلومَ الفُؤادِ فَمَا
لَديه عانى كَثيْراً، جُرِّعَ السَّغَبا
وقفتُ في بَابِها، لَهفانَ مُنتَظِراً
إذْنَ الدُّخُولِ، مَشُوقَ الرُّوحِ مُرتَقِبا
أبعدَ كُلِّ سِنِينِ العُمْرِ، يوقِفُني
في بَابِها، غَاصبٌ، مازالَ مُغْتَصِبا؟
يَقُولُ لي، وهو بالعينين يأخُذُني
منْ حَيْثُما جئتَ، عُدْ.. يا أنتَ مُنْقَلِبا!!
أعودُ كَيفَ..؟ فَيُلقي نَظْرَةً جَرَحَتْ
قَلبي، أثارتْ به الأحزانَ والغَضَبا
هذا الغَريبُ، كما الشَّيطان يوقِفُني
في بَابِ غَزَّةَ.. ياويلاهُ، يا عَجَبا

(٢)

حَـــــــــاوَرْتُ . . دَاوَرْتُ إنّي هَـهـنـا أبـداً
ولَـكنْ أعـــودَ، ولَـو مـــزّقْــــتَنى إربَا

وبَعْـدَ سَـاعـاتِ مَـرّتْ مـثْلمَـا عُـمُـر
مِنَ السِّنين، وقَلبى نَازِفٌ لهَـــبَـــا

عَـــبَــرتُ مِنْ رَفحٍ، شــوقًـا، إلىَ رَفَحِ
أغُـذُّ خَطْوِيَ، مُـشْـتَـاقًـا، ومُـقْـتِـربَا

(٣)

أتيتُ غَـــزّةَ، أمــشي فى شَــوَارِعــهــا
مَـضَـيَّعَ الوَجـهِ، لا إسْـمَـاً، ولا لَقَـبَـا

أدورُ فــيـــهـــا كَـــمَـــجْنُون يُدلّـهُـــهُ
حُبٌّ، أضَـاعَ بِهِ مِنْ عُـمْـرِهِ حِـقَـبـا

أسَـــــائِلُ الرِّيحَ، والأمـطـارَ عَنْ ولـد
كَمْ فى شَــوَارِعِـهــا، كَمْ دَارَكم لَعِــبَـا

كَمْ بَاكَــرَ الطَّيــرَ فى صُـبحٍ يُغَــازِلُهُ
وكَمْ على الشَّطِ، كمْ غَنّى، وكمْ وَثَبــا

(٤)

أهذِهِ غَـــزّتِى، مَنْ كُنْتُ أعْـــرِفُــهــا
لا تقْـبَلُ الظُّلمَ، لا تَسْـتَـمرِئُ الغُــرَبَا

مـــا بالُهـــا طأطأتْ، للرِّيحِ وانْكَسَـــرَتْ
وَسَلَّمَتْ أمـــرَها نَهـــبَـــاً لِمَنْ نَهَـــبَـــا
أدورُ شَـــرقـــاً، وغَـــرْباً فى أزقَـــتِـــهـــا
أسَـــائِلُ الدَّورَ، والجُـــدْرَانَ، وَالَخـــشَـــبَـــا
عَـــمَّنْ حَـــمَلتُ لَهُمْ عُـــمْـــري مَـــحَـــبَّـــتَـــهُم
وَمَـــا تَـخَلَّفَ قَلبي عَنهـــمـــوَ ونَبَـــا
كـــانوا أمـــامَ عُـــيـــونِي، لا يُفـــارِقُنِي
شَـــوْقٌ تَجَـــذَّرَ فى الأعـــمـــاقِ وانْسَكَبَـــا
وَكُنْتُ أزْهُو بِـهِـمْ، أعلو بِذِكـــرِ هِـمـــو
فى إيِّمَـــا مَـــوْقِعٍ، أسْـــمُـــو بِهِمْ نَسَـــبَـــا
وأعـــبـــرُ الآهلَ المَسْكُونَ مُنْدفَـــعـــاً
نَحـــوَ الحَـــوَاكـــيـــرِ، مُـــشْـــتَـــاقـــاً، وَمُنْجَـــذِبَا
تَـدُوُر عَـــيْـــنَـاىَ، فى حُـــزْنٍ وَفى وَجَـــعٍ
تُحـــاوِرُ التِّيـنَ، والزَّيـتـــونَ، والعِنَبَـــا
أغـــزةٌ هَـذهِ، مَنْ كُنتُ أعـــرِفُـــهـــا
شَـــمَّـــاءَ لا ترتَضى، ذلاً وَلا نَصَـــبَـــا
عـــمـــراً قَـــضَـــيـتُ، أغَنِّى فى مَـــفَـــاتِنِهـــا
فى حُـــبِّـــهـــا، أبدعُ الأشـــعـــارَ والأدَبَا
كَمْ تُقْتُ، مـــا تَاقَ مِـــثْلى «الشَّـــافـعى» لهـــا
وَحَنَّ مِنْ مكّة، شـــوقـــاً لهـــا، وَصَـــبَـــا
فـــوَدَّ لو كُـــحِّلَتْ بالتُّـــرْبِ مُـــقْلَتُـــهُ
منْهـــا، ونَاجى بِهـــا الإســـلامَ العَـــرِبَا

مـــا بالهُـــا مِـــثْلُ حَـــسْنَاء مُـــعَـــفَـــرَة
شَـــاخَتْ، وكُلُّ الذّى أهواهُ قَـــدْ خَـــرِبَا

(٥)

هـذى المَـدِيْـنَـةُ، مـــــا نَـامَـتْ ولا رَكَـنَـتْ
لِظَالِمٍ.. واســـألوا التَّـــاريخَ والكُتَـــبَـــا
رَدَّت زحـــوفَ الصَّلِيـــبينَ وانْتَـــصَـــرَتْ
عَليــهــمــو دَحَـرَتْ جـيـشًـا لهمْ لَجِـبَـا
ويومَ دقَ «هـولاكـــو» بَابَهـــا وَقَـــفَـتْ
فى وَجـهـه، تُعْلِنُ العِـصْـيَـانَ والغَـضَـبَـا
رَدَّتهُ مُنْهَـــزِمـــاً، رَاحَـتْ تُلاحِـــقَـــهُ
«لِعينِ جـالوت» حـتى أنْهـارَ وانْسَـحَـبـا

(٦)

وَقَـــفْتُ بالمَسْـــجِـــدِ المعـــمـــور أسَـــألُهُ
عَنِ الأَحـــبـــة، مَنْ صلى، وَمَنْ خَطَبَـــا
وأســـتـــردُّ زمـــاناً، كُنْتُ أحـــمَلُه
بينَ الجَـــوَانِـحِ، مـــا ولّى، ولا ذَهبـــا
أجىءُ «كُلّيـــتى» عَلّى أشـــيمُ بِـهـــا
مِنْ نَفْحِ أيامِـــهـــا، بعضَ الذّى غَـــرُبَا
أعـــيـــدُ ســـوقَ عُكَاظِ بعضَ ذاكـــرتى
أيام كُنّا بِـهـــا الشُّـــعـــراءَ والأدبَا

وأستعيدُ لياليها، مجالسَها

وأبعثُ الرائعَ الماضى الذى حُجِبا

(٧)

هذى المدينةُ فى الوجدان ساكنةٌ

هيهاتَ، ما هَمَّها مَنْ ضَلَّ أو كَذَبَا

فيها البطولةُ، حطَّتْ عندَ مَولدها

تَطَاولتْ أفرعًا، واخْضَوْضَرَتْ حَسَبا

مدينة دَوَّنَ التَّاريخُ قِصَّتَها

بما تَسَامتْ به عِزاً لها وإبَا

مدينةٌ فى كتابِ المَجْد منزلُها

مخلدٌ بِمِدادِ النُّورِ قدْ كُتِبَا

(٨)

أجىءُ بعدَ اغترابى، كَيفَ تُنكرُني

أحاولُ الجُهْدَ، أسْتَقري بِها السَّبَبَا

ماذا أغيَّرَها، بَعْدي وبدَّلَهَا

مَنْ حطَّ فى أرضها ظُلمًا ومَن غَصَبَا

الإحْتِلال الذى قاسَتْه صابرةً

وَعَفَّرتْ أَنفَهُ، فانزاحَ واحْتَجَبَا

يومَ انتفاضَتِها فى وَجْهه وثَبَتْ

ما مِثْلُها عَرَفَ التَّاريخُ، أو كَتَبا

اللهُ أكــــبــــرُ زلزالٌ، وعـــاصــــفَــــةٌ

أقــوى منَ الغَــادرِ البَــاغِى، ومَــا جَلَبَــا

فــلا السِّــلاحُ الذّى وافــاهُ أعْــجَــزَها

ولا الجـيــوشُ ولا مَنْ جَــارَ وَاسْــتَلبَــا

ولا سِـيَــاسَــةُ تَكْسِــيــرِ العِظَامِ ولا

مــا دَبَّرَ البَــغيُ فى ليلٍ ومَــا نَصَــبــا

مَـــــدينتى ليسَ لى فى الكَونِ من بلدٍ

ســواك، مــازِلتِ لي أُمــاً هُنا وأبا

أجيءُ طالَ حَنينِي طالَ بِي لَهَــــفي

أضَعْتُ عُمْري، مُشْتَاقًا ومُغْتَرِباً

ظَلَلْتُ مِنْ بَلَدٍ أمْــــضي إلى بَلَدِ

أجُــرِّعُ الظُّلْمَ، والأحــزَانَ والسَّــغَــبــا

أجيءُ بعــدَ إغــتــرابي، والوَفَــاءُ مَــعي

حَــمَلْتُــه، وحَــمَلتُ الإسم والنَّسَــبــا

هَــاتي يديكِ خُـــــذِيني إنّني تعبٌ

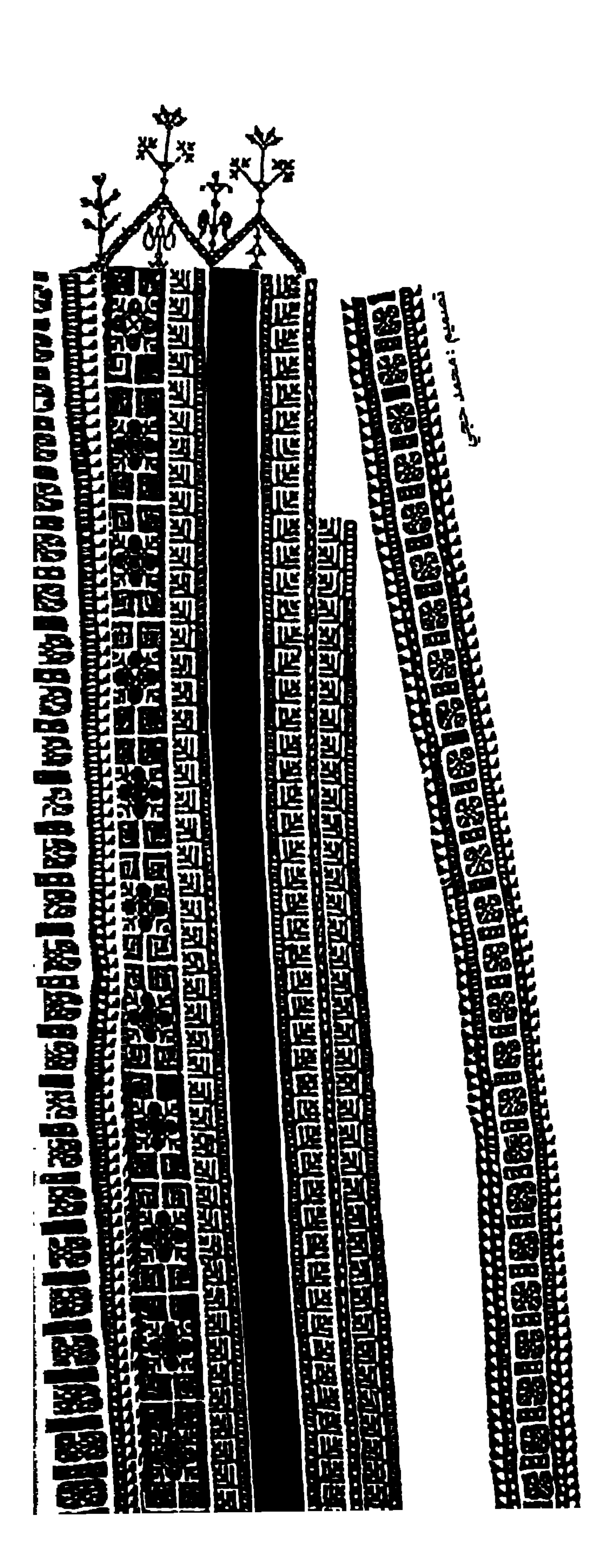
أتيتُ أنفضُ عَنّي الحُــزنَ والتَّــعَــبَــا

القاهرة ١٩٩٤

فهرست

رقم الإيداع ١٠٣٠٦ /٩٨
الترقيم الدولى 3 - 0481 - 09 - 977

مطابع الشروق
القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى ـ ت ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ـ٨١٧٢١٣ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥(٠١)



دار الشروق